جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

01F27
2012-03

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب و اللغات

قسم :اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

تحت عنوان:

عوامل نمو الحركة الفكرية و التعليمية بتلمسان الزيانية القرن 8 هـ -14 م

إعداد الطالبة:

سهام بن عطية

إشراف الأستاذ :

أ.د رابح سنايسي

لجنة المناقشة:

أ.د/رابح سنايسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ورئيساً
د/ أحمد طالب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً
د/محمد مهداوي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1431-1432 هـ/ 2010-2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

رَبِّي أَوْزِعْنِـــيَ أَنَ اشْكُـــرَ نِعْمَتَكَ الَتِي أَنْعَمْـتَ عَلَـــيَ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنَ اعْمَلَ صَالِحـــاً تَرْضَـــاهُ.....".

أشكر الله عزَّ وجلَّ الذي سهل لي الظروف لطلب العلم ثم أنه من تمام النعمة والشكر لله أن أتقدم بالشكر والتقدير الخالص إلى أستـــاذي المشـــرف الدكتـــور رابح سنايسي على توجيهـــــاته و تشجيعـه المتواصـــل والنصائح القيِّمة التي لم يبخـــل بها عنيَ طوال مشوار البحث.

وأتقدم بالشكر لجميع الأساتذة والأصدقاء الذين لم يبخلوا علي بآرائهم خاصة الأستاذ: عبد الله عوابدي وإلى كل من ساعدني في إخراج هذا العمل من قريب أو بعيد

سمـــــاح بن عطية

مقدمـــــة

لقد شهدت مدينة تلمسان عاصمة الزيانيين بالمغرب الأوسط تطورا حضاريا، مما جعلها مدينـــة تنافس المدن المغربية، فازدهرت الحاضرة في جميع مرافقها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية، إذ عرفت ظهور العديد من المراكز الثقافية والمؤسسات العلمية التي ساهمت إلى حدّ كبير في إنماء الحركـــة التعليمية وتطويرها وبالتالي ازدهار الفكر والثقافة بهذه الحاضرة وذلك بفضل العناية الفائقة والمتزايدة التي كان يوليها سلاطين بني زيان وأمراؤهم لرجال العلم والأدب والثقافة، كما كانوا يعتنون عناية خاصـــة بالمؤسسات الدينية والتربوية ويكثرون من إنشائها وتشييدها والإنفاق عليها كالمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب والاهتمام بالمنظومة التربوية والتعليم وطلابه. ولتطور التعليم ارتباط وثيق بتطور العمران على حد تعبير ابن خلدون " العلوم إنّما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ".

إن تطور المجتمع في مختلف نواحي الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية يواكبه تطور فكـــري، والحجة في ذلك هي أن تلمسان ظلت تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك ظروفها السياســـية إذ يعتبر العهد الزياني العصر الذهبي للمغرب الأوسط ففيه عرفت البلاد أوج ازدهارها، والدليل على ذلك هو أنّ الحركة العلمية بتلمسان بلغت ذروتها خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي مما جعلها قبلة للطلاب الذين توافدوا عليها من مختلف الربوع، كما قصد إليها العلماء من المغرب والأندلس وتولوا التدريس في مدارسها، وهذا التطور يعود لملوك الدولة الزيانية إذ وبالرغم مـــن انشـــغالهم بصـــراعاتهم الداخلية والخارجية إلاّ أنّهم اهتموا بالتعليم وأحبوا العلم وقربوا العلماء من مجالسهم وكرّمـــوهم غايـــة التكريم إذ يعتبر السلطان يغمرا سن أول من سنّ تشجيع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان ولقد ســـار

الكثير من أحفاده على نهجه أمثال " أبو حمو موسى الأول " و " أبو تاشفين عبد الرحمـــان الأول " و" أبو حمو موسى الثاني " وغيرهم من الأمراء في تقريب العلماء واستقبالهم من مختلف الحواضـــر المغربيـــة والأقطار الإسلامية. وبذلك تمكنوا من جعل تلمسان عاصمة علمية ضاهوا بها عواصم العلم المشـــهورة آنذاك كالقاهرة وغرناطة وفاس، وتونس .

وهذا ما نحن بصدد تبيانه ودراسته إن شاء الله، تحت إشكالية : ما هي أهم العوامل التي ساعدت علـــى إنماء الحركة الفكرية والتعليمية بمدينة تلمسان الزيانية خلال القرن 8 ه /14 م ؟ وما هو الدور الحضاري الذي لعبته كل من المؤسسات الدينية والتربوية آنذاك ؟.

لقد تجمعت عدّة أسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع و دراسته من بينها:

1-أود الإسهام ولو بالشيء القليل في إحياء التراث الثقافي وإبراز المعالم الحضـــارية لعاصـــمة الثقافـــة الإسلامية ومهد الفنون والحضارة تلمسان.

2-جل الدراسات الأكاديمية تعرضت إلى دراسة الجانب التاريخي والسياسي والعســـكري والعمـــراني والثقافي للدولة الزيانية إلاّ أنّها لم تتطرق للنهضة الفكرية بمناحيها الحياتية وأهم العوامل التي ســـاهمت في إثرائها وبعثها.فكان ذلك أحد العوامل الرئيسية التي شجّعتني على الخوض في هذا البحث.

ولقد وسمت هذا الموضوع بعنوان: "عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان الزيانية القرن 8 ه /14 م " وذلك لما تميزت به هذه الفترة من غزارة في الإنتاج وتنوعه وكثـــرة العلمـــاء والأدبـــاء والمفكرين الذين نبغوا في شتى الدراسات الدينية والأدبية والاختراعات العلمية. والأهم من ذلك هو ابراز

العامل الرئيسي الذي كان وراء هذا النبوغ والازدهار والتطور في الحياة الثقافية بتلمسان في عهد بـــني زيان.

لقد بحثت ضمن عدّة مصادر ومراجع، واستقيت منها ما وسعني ويخـــدم موضـــوعي فتناولتـــه بالبحث والدراسة، فأفدت منها إفادة كبيرة في كتابة هذا البحث المتواضع وقد تتبعت في دراستي هاته، المنهج التاريخي الذي يهتم بتتبع الظاهرة التاريخية ودراستها عبر حقب زمنية معروفة، وقد مهدت لهـــذا البحث بمدخل هو بمثابة دراسة تاريخية موجزة تعطينا فكرة واضحة عن هذه الفترة الزمنية من تاريخنـــا وكيف كان قيام الدولة الزيانية وما هو أصل بني عبد الواد "الزيانيين ". بعد أن أسبقتها بمقدمة عامة عن الموضوع بمحتواه والهدف منه، وكذا ما انتهجته فيه، وصولا بالإشارة إلى المصادر والمراجع التي اعتمدتها في بحثي هذا.

وقد قسمت موضوع بحثي هذا إلى فصلين عنونت الأول منهما ب: " أهم عوامل ازدهار الفكـــر والثقافة بتلمسان" " تناولت فيه عناية بني زيان بالثقافة والعلم، السلطة وعنايتها المتوارثة برجال الفكـــر والتعليم ومؤسساته، والرحلة في طلب العلم، الهجرة الأندلسية، الهجرة الهلالية، الموقع الجغرافي لتلمسان، النهضة العمرانية، أحداث التقليد والمنافسة، العنصر البشري.

أمّا ثاني الفصلين فبعنوان: " التعليم ومؤسساته "، تطرقت في الجانب الأول منه إلى التعليم ومراحلـــه وطرق التدريس وتطورها، أمّا الجانب الثاني فتناولت فيه دراسة المؤسســـات التعليميـــة كالكتاتيـــب والمساجد والمدارس والمكتبات والإمكانيات التي ساعدت على قيامها وانتشارها، ودورها في تفعيل الحياة الثقافية بتلمسان.

وفي الأخير أنهيت بخاتمة أوجزت فيها أهم ما تصوّرته نتيجة لهذا البحث.

لقد استفاد البحث بشكل كبير من دراسة الدكتور "عبد العزيز فيلالي" الموسومة ب"تلمسان في العهد الزياني" وهي دراسة سياسية،عمرانية، اجتماعية، ثقافية وتعد مرجعا مهمّا في دراسة الحاضرة على العهد الزياني، تطرق فيها صاحبها إلى نظام التعليم وجميع مؤسساته العلمية، كما تناول وضع التعلـــيم ومناهجه وطرقه.

هذا بالإضافة إلى مذكرة تخرج لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي بعنـــوان "الحيـــاة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيـــان (633 - 962 ه/1236 - 1554 م) مـــن إعـــداد الدكتور "العبدلي لخضر"، وهي دراسة مهمة في التاريخ الثقافي لتلمسان تناول فيها الباحـــث موضـــوع الدراسة بشكل مهم، فتعرض لإبراز بعض صور هذا العهد من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وبالله التوفيق

تلمسان يوم :

24 رجب 1432هـــ/26 جوان 2011م.

سهام بن عطية

مـــــدخل

* نشأة الدولة الزيانية
* تشجيع ملوك بني عبد الواد للعلم والعرفان

أولا: نشأة الدولة الزيانية:

1-أصل بني عبد الواد:

تنسب الدولة الزيانية إلى بني عبد الواد، وهم من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة. كانوا يقطنون الناحية الغربية الجنوبية من المغرب الأوسط ما بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا، ولقد تلوا بني مرين في الكثرة والقوة. يعود أصل تسميتهم إلى جدّهم "عابد الوادي". [1]

وينقسم بنو عبد الواد إلى بطون وشعوب أهمها: بنو ياتكتن، بنو وللو، وبنو تومرت،بنو ورسطف وبنو مصوجة، ويضاف إليهم بنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدولـــة الزيانيـــة، وأولهم يغمرا سن بن زيان بن ثابت فهذا الأخير لمّا ذكر له ذلك ورفع نسبه إلى إدريس بن عبد الله الكامل أجاب قائلا: "إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأمّا الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا"[2]

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج2، دار الثقافة، بيروت،ط4، 1980،ص 141. يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر،ج1. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص 125.

[2]- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص149. يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص186. محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، د.ت، 1985، ص109.

2-استقرارهم بتلمسان:

كان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن الكلأ والمراعي بين سجلماسة [1] ومنطقة الزَّاب [2] بإفريقية، ولّما قام "عقبة بن نافع الفهري" بحركتـــه في بلاد المغرب فاتحا ساندوه وشكلوا فرقة من جيشه تابعت معه فتوحاته غربا [3] .

وفي عهد الموحدين استقر "بنو عبد الواد" بأحواز تلمسان ودخلوا في خدمة هؤلاء فترة من الوقت وحكموا باسمهم بعض تلك الجهات فأخذ اسمهم يتألق وشأنهم يعلو حتى راودتهم فكرة الاستقلال عن الموحدين الذين أخذوا في الضعف فبايعوا جابر ابن يوسف أمـــيرا علـــيهم عـــام 627ه / 1230م ، وركز هذا الأمير جهوده على جمع شمل بني عبد الواد جميعا تحت رايته، واستمر مـــن جاء بعده على هذا النهج نفسه حتى بويع يغمرا سن عام 633ه / 1235م [4] .

---

[1]- سجلماسة: مدينة قديمة كانت واقعة في ناحية تافيلالت على بعد 310كم في الجنوب الشرقي من مدينة فاس على تخوم الصحراء، كانت محطة تجارية هامة في الطريق الواصل بين تلمسان والسودان. التنسي، المصدر السابق، ص286 .

[2]- الزَّاب: منطقة سهلية واقعة بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا وأشهر مدنها بسكرة وطولقة. التنسي، المصدر نفسه، ص285.

[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص186.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص125.

3-توليهم الحكم:

أجمع كل من "يحي بن خلدون" و"عبد الرحمان بن خلدون" و"التنسي" على رواية واحـــدة حول الكيفية التي وصل بها قبيل بني عبد الواد إلى الحكم [1] ، وخلاصة روايتهم أنّ السـيد "أبـا سعيد عثمان" شقيق "المأمون" سلطان الموحدين كان واليا على مدينة تلمسان فاعتقـل بعـض مشايخ بني عبد الواد. فسعى إليه "إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني" متشفعا فيهم، فرد السيد "أبو سعيد" شفاعته فغضب لذلك وثار عليه فاعتقله، ثمّ أطلق سراح مشايخ بني عبـد الواد ولكنّه تمادى إلى أبعد من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين وطمح في إعـادة بعـث الدولـة اللمتونية، واعتقد أنّ ذلك لن يتم له إلاّ بالقضاء على بني عبد الواد فأراد أن يحقق مأربه بالتحايل على مشايخ القبيل وقتلهم فأعدّ لهم وليمة دعاهم إليها بغرض اغتيالهم عند وصولهم، إلاّ أنّ خطته اكتشفت ونتيجة لذلك وقع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبد الواد.[2]

وكان على رأس قبيل بني عبد الواد حينئذ "جابر بن يوسف" (عم يغمرا سن) فـدخل تلمسـان وأعلن الدعوة للمأمون، وبعث إليه معلنا طاعته فعهد له المأمون بتسيير أمور تلمسان وما يليها من

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص152-153. – يحي ابن خلدون، البغية، ج1، المصدر السابق، ص106-107. – التنسي، المصدر السابق، ص112-113.

[2]- محمد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2002، ص53-54.

بلاد زناتة وكان ذلك سنة 627ه / 1229م، ولمّا أراد إخضاع مدينة ندرومـــة [1] وحاصـــرها أصابه سهم أودى بحياته أواخر سنة 629ه / 1231م[2].

بعد وفاة "جابر بن يوسف"، خلفه ابنه "الحسن" الذي تولى لمدّة ستة أشهر ثمّ تخلى عن الحكم لعمه "عثمان بن يوسف" مطلع سنة 630ه /1232م ، ثمّ خلف هذا الأخير "أبو عزة زيدان بن زيان" وكان قويا وشجاعا فأطاعته جميع البطون والقبائل وامتنع عن مبايعته بنو مطهـــر [3] وبنـــو راشد [4] فحاربهم وقتل في إحدى المعارك سنة 633ه /1235م [5]، فخلفه يغمرا سن بن زيان الذي يعتبر المؤسس الفعلي والحقيقي للدولة الزيانية[6].

---

[1]- ندرومة: مدينة واقعة في الشمال الغربي من تلمسان في أحد الطرق الواصلة بين هنين وعاصمة بني زيان وتبعد عنها ب60كم، كانت محاطة بسور محكم لا تزال بقاياه موجودة، بها مسجد عتيق يدعى مسجد سيدي أبي علي، والمسجد الأعظم وقد ابتنيت منارته سنة 1848 ومسجد سيدي يحي ابن عوفين . عن التنسي، المصدر السابق،287. -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط2. 1984م، ص242.

[2]- ابن خلدون، العبر،ج7، المصدر السابق، ص153 – يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص199 – التنسي، المصدر السابق، ص112-113.

[3]- بنو مطهر: من قبائل زناتة وهم أبناء عمومة بني عبد الواد. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق،ص 148.

[4]- بنو راشد: من بطون زناتة، كانت مواطنهم بالصحراء ثمّ استوطنوا الجبال شرق تلمسان. ينظر ابن خلدون، المصدر نفسه، ص315.

[5]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص157 - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص200 – التنسي، المصدر السابق، ص115-116.

[6]- عبد الرحمان بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، شهادة الماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007، ص08.

4 - دور يغمرا سن بن زيان في تأسيس الدولة:

يعتبر هذا الأخير المؤسس الفعلي لدولة بني زيان، تولى الحكم من سنة 633ه / 1236م إلى سنة 681ه / 1283م أيام الخليفة الرشيد "عبد الواحد بن إدريس المأمون" [1] .

وجد يغمرا سن نفسه في موقف خطر بين مزاحمين عظيمين: في الشرق تزاحمه الدولـــة الحفصـــية التونسية، وفي الغرب تزاحمه الدولة الموحدية المراكشية، وفي مملكته نفسها تزاحمه بعـــض القبائـــل الوطنية، إلاّ أنّ يغمرا سن كان مخلوقا من طينة الأبطال ويجري في عروقه دم عظماء الرجال، فما اكترث بتلك الخطوب ولا وهنت عزيمته أمام هاتيك العقبات الجسيمة، وتمكن بسياسته من النمو بين تزاحم الحفصين والموحدين [2] .

فصمم على فكرة تحقيق الاستقلال عن الموحدين وبدأ أعماله في تقوية مركزه والإكثار مـــن الأنصار والحلفاء ثمّ أخذ يستبد بشؤون إمارته حتى لم يبق للخليفة الموحدي سوى الدعاء علـــى المنابر، وفي الأخير قطع هذه الدعوة وأعلن انفصاله، و لم يفلح الخليفة الموحدي" أبو الحسن السعيد المعتصم" في محاولة القضاء على يغمرا سن عام 646ه /1248م. وكانت نتيجة زحفـــه علـــى تلمسان اغتياله وتشتيت قواته واستيلاء يغمرا سن على ذخائره ومؤنه وأسلابه، ولمّا كانت هـــذه الإمارة تقع في الوسط بين بني حفص في تونس وبني مرين في مراكش فإنها ناضلت طويلا من أجل الحفاظ على استقلالها، ولقد استعمل يغمرا سن مختلف الوسائل ضدّهما أحياناً بالســـيف، ومـــرة

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص115-116.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص28-29.

بالدهاء السياسي وأخرى بضرب إحداهما بالأخرى، مات عام 681ه /1283م حتى كانت هذه الإمارة مرهوبة الجانب عالية الشأن في إفريقيا والأندلس [1] .

5- حدود الدولة الزيانية:

شغلت الدولة الزيانية إقليم المغرب الأوسط، وعمل حكامها بدءا بجدّهم يغمرا سن بـــن زيان على توسيع حدودها وتثبيت قواعدها وضم القبائل إلى سلطتهم.

وتمكن يغمرا سن من التوسع غربا، وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية، كما امتد نفوذه إلى مدينة وجدة [2] وتاوريرت وإقليم فجيج في الجنوب الغربي.

وتوسع في الداخل وأخضع مازونة [3] وتنس [4] والونشريس والمدية [5] ومواطن مغراوة وتوجين،

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص125-126.

[2]- وجدة: مدينة قديمة على بعد 80كم غربي تلمسان، كانت تابعة لمملكة بني عبد الواد، وهي اليوم في المغرب الأقصى على الحدود الجزائرية المغربية. عن التنسي، المصدر السابق، ص287.

[3]- مازونة: مدينة صغيرة على بعد نحو 60كم غربي مدينة الأصنام، اشتهرت في العصور السابقة بنشاط ثقافي كبير، وكانت مقر بايات الولاية الغربية في فترة من فترات العهد العثماني، بها توجد أول زاوية من زوايا الطريقة السنوسية الشهيرة. عن التنسي، المصدر نفسه، ص286 – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص236.

[4]- تنس: مرسى صغير غربي الجزائر أسسه الكنعانيون القرطاجيون فكان مستودعا تجاريا ثمّ أقام به الرومانيون مستعمرة ثمّ جاء مهاجروا الأندلس وعمروه. عن أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص205.

[5]- المدية: مدينة تقع على بعد 80كم جنوب الجزائر العاصمة، وهي أهم مدن التيطري سميت نسبة لإحدى بطون صنهاجة، بها مزارع خلابة. عن التنسي، المصدر السابق، ص287. – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص237.

وسهل المتيجة [1] حتى أطراف مدينة بجاية [2]، أمّا جنوبا فامتدت دولته حتى تخوم الصحراء.

وحاول خلفاؤه تثبيت الحدود التي ورثوها عن مؤسس دولتهم، وكان يغمراسن قد ترك وصية لخليفته ينصحه فيها بالتوسع على حساب الأقاليم الشرقية واتّقاء خطر بني مرين[3].

حيث قام بعده ابنه "أبو سعيد عثمان" بإخضاع عدد من الجهات وضمها إلى إمارته كما دشنّ عددا من الحملات على بني توجين الذين تحالفوا ضدّه مع بني مرين وفي عهده تكررت غارات بني مرين على تلمسان ولاقى أهلها صعابا شديدة من جراء الحصار الطويل الذي أحكموه عليها، ومع ذلك ثبتوا وثبت معهم أبو سعيد حتى توفي عام 703ه /1304م (2)، فخلفه ابنه أبو زيان الأول الذي توفي في أواخر ولايته الأمير المريني" أبو يعقوب يوسف" .

ثمّ جاء بعده" أبو حمو الأول" الذي واصل أعمال أخيه أبي زيان ليحقق للإمارة المزيد من الهدوء والاستقرار، حيث مال هو الآخر إلى مسالمة المرينيين وموادعتهم ثمّ أخذ يعمل على إخضاع قبائل مغراوة وتوجين، واستطاعت بعض قواته أن تسيطر على إقليم الزاب[4] عام 710ه /1310م وتدفع إلى الوراء النفوذ الحفصي. ولم يكتف بها فخرج بنفسه إلى جهات الشرق

---

[1]- متيجة: سهل من أخصب سهول الجزائر يحيط بالجزائر العاصمة طوله نحو 100كم وعرضه نحو 20كم. عن التنسي، المصدر السابق،ص286.

[2]- بجاية: مرفأ بشرق الجزائر، وقد لعبت المدينة دورا كبيرا في تاريخ البلاد عامة، وكانت على الخصوص عاصمة بني حماد وقد فشلت جهود بني زيان كلّها لضم المدينة لممتلكاتهم. عن التنسي، المصدر نفسه، ص284.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص189.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 126.

واستولى على مدينة دللس [1] ومدينة الجزائر وشتت إمارة الثعالبية بمتيجة وواصل زحفه إلى شرقي مدينة الجزائر حتى وصل إلى حيث مدينة أزفون الحالية، وبنى في موقعها مركزا عسكريا للقـــوات العسكرية التي أوكلها مهمة مواصلة الزحف نحو الشرق. توفي مقتولا على يد ابنه "أبي تاشفين عبد الرحمان" الذي بويع خلفا له عام 718ه /1318م [2]، وواجه ثورات مغراوة بســـهول وجبـــال الونشريس، وأفتك بجاية وقسنطينة من الحفصيين عام 729ه /1328م[3].

لم تكن حدود الدولة الزيانية ثابتة ومستقرة بل كانت بين مدّ وجزر تضيق وتتسع حسب قوة جيرانها من بني حفص شرقا وبني مرين غربا إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ حدودها كانت تمتد طولا من البحر المتوسط شمالا إلى صحراء الجزائر جنوبا، وعرضا من جبال سعيدة ووادي مينه شـــرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا [4] .

ثانيا: تشجيع ملوك بني عبد الواد للعلم والعرفان:

إنّ الذين كتبوا عن تاريخ دولة بني زيان سواء من الناحية التاريخية أو في نواحي أخرى، لم يغفلوا الإشارة إلى أنّ مدينة تلمسان في عهد بني زيان قد عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا ونهضـــة أدبية كبيرة لم يسبق لها أن عرفتها من قبل والحجة في ذلك كثرة العلماء وإنتاجهم الفكري الضخم

[1]- دللس: مدينة إسلامية ذات مركز ممتاز كانت في العصور الإسلامية ذات قيمة علمية فنية واسعة، وكانت تابعة لدولة بني حماد كما كانت محل نزاع بين الدولتين الحفصية والزيانية. عن أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص218.

[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص216-219 – التنسي، المصدر السابق، ص139.

[3]- يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص127.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص72.

في هذه الفترة[1] ، حيث شهد المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان نشاطا ثقافيا وحركة علميـــة ملحوظة ميّزها اهتمام الملوك بالعلم والعلماء، وبروز مدينة تلمسان كعاصمة ومركز إشعاع ثقافي في بلاد المغرب، وانتشار المؤسسات التعليمية التي كانت تدرّس مختلف العلوم النقليـــة والعقليـــة، وبروز عدّة علماء في شتى التخصصات العلمية.

لقد كان ملوك وأمراء بني زيان على قدر وافر من العناية بمختلف جوانب النشاط الثقافي في دولتهم، وكان أول ملوكهم يغمرا سن بن زيان "يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم" [2]

كان أول من سنّ تشجيع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان، بحيث يجالس العلماء والشعراء والكتّاب من الأندلس والمغرب ويبسط عليهم رعايته ويولي الكـــثير منـــهم في مناصـــب الثقـــة والمسؤولية في بلاطه [3]، وأولهم وأحسنهم في زمانه "أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي" (ت680ه /1280م) [4]كانت الفتاوى تأتيه من افريقية وتلمسان إلى تنس [5]، فكـــان يغمراسن يكاتبه كثيرا ويرغبه في سكنى تلمسان لكن أبا إسحاق كان يمتنع إلى أن نشأت فتنـــة ببلاد مغراوة فارتحل منها إلى تلمسان ولما بلغ خبره إلى يغمرا سن ذهب هذا الأخير بنفسه إليـــه

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 317.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص205.

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص126.

[4]- هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي من العلماء الصالحين كانت له مكانة مرموقة عند يغمراسن، وعند ولده أبي سعيد عثمان الأول توفي في عهده ودفن بالعباد وقبره مزار إلى اليوم. عن يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص114.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص126.

واجتمع معه بالجامع الأعظم ومعه فقهاء تلمسان وقال له: "ما جئتك إلاّ راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيه العلم وعلينا جميع ما تحتاج إليه". [1]

كما حرص يغمرا سن حرصا شديدا على عقد المجالس العلمية في قصره، وأبـــدى عنايـــة خاصة بالمذهب المالكي. [2]

وقد سار الكثير من أحفاد يغمرا سن على نهج أبيهم أمثال "أبو حمو موســـى الأول" إذ يعتبر عهد هذا الأخير من أزهى عهود بني زيان، فقد أصبحت تلمسان في أيامه حاضرة من أعظم الحواضر، وصارت من أهم عواصم العلم والسياسة والعالم العربي قاطبة. وفي عهد بني زيان علـــى العموم نبغ أشهر العلماء والأدباء والكتّاب والمفكرين، ولعل في قمة هؤلاء عبد الرحمان الثعالبي

مؤلف الجواهر الحسان والمقري مؤلف نفح الطيب. كما امتازت هذه الدولة ببنـــاء المـــدارس الفسيحة التي تعتبر من آيات الفن المعماري العربي الإسلامي وأجريت على طلبتـــها وشـــيوخها الأرزاق. [3]

كما سار في هذا الطريق أيضا "أبو تاشفين عبد الرحمان الأول"، و "أبو حمـــو موســـى الثاني" في استقبال وتقريب العلماء من مختلف الحواضر المغربية والأقطار الإسلامية، فقد تمكنوا من

---

[1]- المصدر السابق، ص126.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص321.

[3]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1973م. ص213.

جعل تلمسان عاصمة علمية ضاهوا بها عواصم العلم المشهورة آنذاك كالقاهرة وغرناطة وفـــاس وتونس وبجاية [1].

[1]- عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، العدد 26، ص124-125.

الفصل الأول

الفصـــــل الأول

عوامل ازدهار الثقافة والفكر بتلمسان

*الموقع الجغرافي

* العنصر البشري

* الهجرة الهلالية

* تقرب أمراء الدولة من رجال الفكر

* الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط

* الرحلات العلمية

* الوراقة

* أحداث التقليد والمنافسة المغربية

* النهضة العمرانية بتلمسان

تمهيـــــــــد

شهدت تلمسان في العصر الإسلامي الوسيط الحياة فكرية رائدة و حركة تنـــوير واســـعة للعلوم و المعارف الإسلامية المختلفة ، امتدت تأثيراتها و إشعاعاتها إلى المدن و العواصم الإسلامية الكبرى في مغرب العالم الإسلامي و مشرقه .

و انكب شعب هذه المدينة و أمراؤها و سلاطينها على البناء الحضاري بمفهومه الواســـع و شهد القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بناء عدد من المدارس العلمية و انكباب جيل من العلماء للتدريس بها و تثقيف الأجيال و تنويرها ، و النهوض بها إلى الآفاق السعيدة [1] .

و مما لا شك فيه أن الحياة السياسية القلقة التي عاشتها مدينة تلمسان في بعض الفترات مـــن تاريخها الزياني و التي سببتها الفتن الداخلية أو الحملات المرينية و الحفصية المتكررة على العاصمة الزيانية ، لم تؤثر بشكل مباشر على الحياة العقلية السائدة في المدينة أو تعرقل نموها المطرد ، بـــل ظلت تلمسان تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك ظروفها السياسية ، و يعود ذلك إلى جملة من العوامل المستمدة من البيئة التلمسانية و من واقعها المادي و البشـــري ، و مـــن معطياتهـــا الاجتماعية و الفكرية حتى و إن تعددت و اختلفت في مظاهرها [2] نذكر أهمها :

---

[1]- يحي بوعزيز . مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران ط 2 ، 2004 ، ص 7 – 9.

[2]- عبد العزيز فيلالي . المرجع السابق. ص 319 .

أولا الموقع الجغرافي :

إن موقع تلمسان الجميل بين الشرق و الغرب الأندلسي و الشمال التلي و الجنوب الصحراوي جعل منها عقدة مواصلات لطرق القوافل التجارية بين التل و الصحراء تزود الجنوب ببضائع الشمال المختلفة الزراعية و الحيوانية و الصناعية ، و تستورد منه بضائعه الصحراوية المختلفة خاصة الصوف و الجلود ، و السمن و الملح و بعض الأدوات الجلدية[1].

حيث وفر موقع المغرب الأوسط ميزة خاصة وسط الكتل الاقتصادية التي كانت تنشط خلال فترة العصور الوسطى، فكانت تلمسان عاصمة بني زيان في منتصف الطريق الرابط بين بلاد السودان الغربي و أرويا و كانت موانئها المشهورة مثل هنين [2]، وهران وتنس عبارة عن حلقات ربط لإيصال بضائع الصحراء إلى أوروبا، و بضائع الشمال لإلى الجنوب، و بذلك جمعت الدولة الزيانية بين التجارة الصحراوية و تجارة البحر المتوسط. و كان الذهب هو السلعة الأكثر طلبا في الأسواق، و اشتهرت شركة الأخوة المقريين في الطريق التجاري الرابط بين تلمسان و السودان الغربي مرورا بسجلماسة[3] و هذا التواصل بين تجار بلدان مختلفة ينتج عنه تواصل حضارات هذه البلدان و تفاعلها فإذا ما عاد التجار إلى مواطنهم حملوا و إياهم عادات و أفكار و أساليب جديدة تفعل فعلها في حياة هذه المواطن و في أوضاعها الحضارية، فإن السلع هي دليل على

---

[1]- يحي بوعزيز . المرجع السابق . ص 08 .

[2]- هنين: ميناء تلمسان المشهور، يقع شمال ندرومة على بعد 35 كلم منها، و غرب نهر تافنة، ولم يبق منه إلا بعض الأطلال و بنيت مكانه حاليا مدينة صغيرة تحمل اسم هنين. أيضا التنسي. المصدر السابق. ص 287.

[3]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، ط1، 1901م. ص 136.

حضارة المجتمع الذي أنتجت فيه و مظهرها، فإذا ابتغاها أبناء مجتمع أخر لم يستمدوا منها فائدة عملية فحسب بل تأثروا أيضا بمحولاتها الحضارية، ولذا كانت التجارة سبيلا واسعا منتجا من سبيل التبادل الحضاري[1].

ثانيا: العنصر البشري:

و المتمثل في بني زيان الذين استولوا على الحكم، و قبضوا على زمام الأمور منذ مدة طويلة عرفت فيها تلمسان أحداث خطيرة، و انقلابات من الناحية الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية، فبنو زيان كعنصر اجتماعي له خصائصه و مميزاته، كان يغلب عليهم في البداية طابع البداوة ثم تطوروا فانتقلوا إلى التحضر[2]، مما جعلهم يؤثرون في الحركة الفكرية- عن قصد أو عن غير قصد - و عملوا على تطويرها بعد أن اندمجوا في بيئة تلمسان التي كانت مركزا ثقافيا قبل تأسيس دولتهم [3] و ارتبطوا بعناصر اجتماعية أخرى منها التلمسانية و الوافدة عليها من الأندلس فخلقوا تياراً اجتماعياً له وزنه و أثره[4].

واشتهرت بتلمسان ظاهرة بيوتات العلم، حيث كان كل بيت بها يضم عدة علماء، ومن تلك البيوتات أسرة المرازقة، الشريفيون، العقبانيون، المقريون و التونسيون و غيرهم، و كان لهذه الظاهرة أثر كبير في تنشيط الحركة العلمية، حيث نجد جد الأسرة و أبناءه و أحفاده كلهم علماء،

---

[1]- محمد بن عمر والطمار. تلمسان عبر العصور. دورها في سياسة و حضارة الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984م. ص 121- 205.

[2]- يقول ابن خلدون أن السلطان أبا حمو موسى الأول 707هـ/1308م هو الذي نقل الدولة من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر، أنظر يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1. ص205-212.

[3]- المصدر نفسه، ص13.

[4]- المصدر نفسه، ص212.

مما جعل من البيت التلمساني في حد ذاته مؤسسة ثقافية عامرة بالنشاط العلمي و ساهمت هذه الظاهرة في الحفاظ على التخصصات العلمية و المصنفات التي كان يتوارثها أفراد الأسرة أبا عن جد[1].

لما ظهر بنو زيان بتلمسان دعموا الحركة الفكرية التي تركها الموحدون، و ساروا دربهم في بداية الأمر، ثم أخذوا يتميزون عنهم بسياسة ثقافية تتعلق بالمسائل المذهبية و العقيدة و أظهروا مرونة كبيرة تجاه فقهاء المالكية و علم الفروع، فأمروا بتدريس كتب المذهب المالكي إلى جانب العلم النظري للأصول (القرآن و السنة)، و أصبحت بذلك المدرسة الرسمية و المساجد و الزوايا بمدينة تلمسان تعطي المكانة الأولى لتدريس الفقه طبقاً للمذهب المالكي.[2]

ثالثا: الهجرة الهلالية:

إن هجرة قبائل بني هلال من الواحات الصحراوية و المناطق الداخلية نحو أراضي الدولة الزيانية خلق تيارا اجتماعيا لامتزاج العناصر العربية بالعنصر البربري، فالعنصر البربري الحاكم في تلمسان عمد إلى تقوية مراكز اللغة العربية في البلاد. كما شجع الزناتيين دراسة العربية باستقبالهم لمجموعة من العلماء توافدوا على عاصمة بني زيان من أراضي الدولة [3] و خارجها، وبذلك

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان و المماليك. رسالة ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007 -2008 ، ص30.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص376.

[3]- - من بين الذين توافدوا على تلمسان من داخل الدولة أبو إسحاق التنسي، و أبناء الإمام منبر شك. لمزيد من المعلومات عن هؤلاء أنظر يحي بن خلدون. المصدر السابق. ص205, 212, 215.

أصبحت الروح المسيطرة على مظاهر النشاط الثقافي عربي في صميمها، و قوية في انتشارها بين مختلف عناصر السكان مما ساعد في تعريب أراضي الدولة الزيانية[1].

لم يكن يصدر عن بني زيان ما يخل بهذه الروح و لا ما يوحي بتيار رجعي يؤثر بصفة شعورية أو لا شعورية في تطور الحركة الفكرية و ازدهارها بل كانت العناصر البربرية المتمثلة في الزناتيين و غيرهم من البربر بفضل تكوينهم العام، و تشابههم مع العرب في تقاليدهم، و الكثير من أخلاقهم ومظاهر سلوكهم يعملون من حيث لا يشعرون بتدعيم الحركة الفكرية باللسان العربي و ما لعبه بنو هلال القادمون من المشرق إلى المغرب في المجتمع الزياني بصفة خاصة في الناحية الثقافية، فقد كان لهذه القبائل ظهور بارز في مختلف أوجه النشاط، و لا سيما في المجالات التي تتفق و طبيعتهم فعربوا كل النواحي التي استولوا عليها، و التي كانت من بين المناطق التي تنتشر فيها اللهجة الأمازيغية، وعلى الخصوص الزناتية [2].

رابعا: تقرب أمراء الدولة من رجال الفكر:

كان لأمراء بني زيان و سلاطينهم رعاية مستمرة للعلم و الأدب و مختلف علوم ذلك العصر، لأن من بينهم من كان ينتمي إليه فكان منهم الفقيه و الشاعر و الأديب و الفنان مثل: "السلطان أبي تاشفين الأول" المولع بالفن و العمران [3]، و الأمير الفقيه "أبي عمر عبد الله بن عثمان بن

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية و الثقافية، ج2، دار الحضارة، الجزائر 2007، ط1.ص 266, 267.

[2]- من بين المناطق التي انتشر فيها اللهجة الزناتية المغرب الأوسط الذي قال عنه ابن خلدون أنه وطن زناتة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص175 – 192.

[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص216.

يغمراسن" المعروف "بابن أبي حفص"، و الشيخ الفقيه "أبي سليمان داوود علي" كبير بني عبد الواد و شيخ دولتهم، و الفقيه "أبي عبد الله محمد بن السلطان ابي يحى يغمراسن" المعروف "بابن شانشة"، و الشاعر السلطان الأديب "أبي حمو موسى الثاني"[1] و السلطان "أبي زيان محمد الثاني"، فكان هؤلاء الأمراء و السلاطين و غيرهم يشجعون العلماء على الاجتهاد في الدرس و تحرير الأفكار من الركود و تنشيط الحركة الفكرية بالعاصمة الزيانية، و كانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس و المنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية التي تتعلق بالعقيدة و التاريخ و العلوم العقلية الأخرى[2]. فقد أتاحوا الفرصة للحوار و المناظرة و التعمق في البحث، و الإقبال على دراسة مختلف المؤلفات الفقهية و غيرها حتى صارت مدينة تلمسان في عهد بني زيان من المراكز التي تستقطب الطلاب و أهل لعلم، فاستقبلت في هذه الفترة العديد من الوافدين عليها من شرقها و غربها[3]، و بالتالي تلاحمت رغبة الحاكمين مع رغبة المحكومين في العناية و الاهتمام بالعلوم و حفظ رسالتها و عطائها و روافدها و المحافظة على سلامتها و نقاوتها.

و كان السلطان "يغمراسن" أول من دشن تشجيع الحركة الفكرية و التعليمية بتلمسان و رغب رجال العلم في القدوم إلى عاصمته،و أغدق عليهم الأموال و الهدايا و الجرايات وأعلى منزلتهم، وشجعهم على التدريس و التأليف فاستقر في عهده بمدينة تلمسان الشيخ العالم "أبو

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص 191, 179.
[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 320.
[3]- ابن مريم الشريف، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، نشره عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص119.

إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي" (680هـ/1306م) كبير علماء زمانه[1] و أخوه "أبو الحسن" (ت 706 هـ/1306م)، ولقد كان العاهل الزياني يعقد المجالس العلمية في قصره و يهتم بالمذهب المالكي ويرعاه، و في منحاه ابنه السلطان "أبو سعيد عثمان بن يغمراسن" في تشجيع ذوي العلم و الفقه، فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء و الفقهاء و الأدباء، و أضاف لهم الشاعر الصوفي الكاتب المتميز "أبا عبد الله محمد بن خميس" (ت 708هـ/1308م)، و قلده خطة الكتابة[2].

لم يكن يغمراسن هو الوحيد من سلاطين الدولة الزيانية الذي اعتنى بالعلماء، بل نجد أيضا "أبو حمو موسى" الأول الذي جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء و أهل الفكر، و من جملة هؤلاء الذين تباهى بهم البلاط الزياني "ابن الإمام" "أبو زيد عند الرحمن" و "أبو موسى عيسى" الذين قربهما إليه و أكرم وفادتهما، و بنى لكل واحد منهما منزلا و أسس لهما مدرسة، و هي المدرسة الأولى التي تشيد بتلمسان في بداية عهده، و كان "أبو حمو" هذا يكثر من مجالستهم أو الاستماع إلى نصائحهما و علمهما الغزير و اختصهما بالفتوى و الشورى[3].

كما كان يسعى في أن تكون تلمسان كعبة قصّاد العلم مثل العواصم العربية، و بلاطه يزخر بالعلماء و الأدباء على غرار بلاط "فاس" و بلاط "تونس" [4]. كما كان لبنه "أبو تاشفين" ينافس الحفصيين و المرينيين في تقريب العلماء و الأدباء من مجلسه، حيث وفد عليه الشيخ "أبو موسى

---

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 114.
[2]- المصدر نفسه، ص 208.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 322.
[4]- محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق،ص 121.

عمران المشدالي" (ت 745هـ/1345م) أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فأكرمه وولاه التدريس بمدرسته [1]، كما كان هذا السلطان يحرص على عقد المجالس العلمية بحضرته، و كانت تدار فيها المناقشات و المناظرات في المسائل الفقهية بين كبار العلماء [2].

و قد اشتهرت في عهده أيضا أسرة بني الملاح[3] و قاضي الجماعة "أبو عبد الله محمد بن منصور" المعروف بابن هدية (ت 735هـ/1335م)، الذي تولى قضاء الجماعة بتلمسان و كتابة السر و الخطابة في المسجد الجامع، فكانت له مكانة متميزة عند أبي تاشفين، و بذلك أراد هذا الأخير لعاصمته أن تضاهي فاس و تونس و غرناطة في المجال الحضاري و العمران.

أما السلطان "أبو حمو موسى الثاني" مجدد الدولة الزيانية فقد عنى بالعلوم و الآداب عناية خاصة باعتباره يمتاز بالإلمام الواسع بمختلف العلوم و الفنون و لا سيما الأدب و شعره [4]،

فلقد كان له إنتاج فكري في النثر الرائق، و الشعر الفائق، و من العلم العقلي و النقلي ما جلا نوره من الدنيا، و قد في شأنه التنسي:" صنف رضي الله عنه كتابا أدبياً لولده "أبي تاشفين" ولي عهده سماه نظم السلوك في سياسة الملوك". و قد أودع فيه آراءه السياسية، و ضمنت بعض قصائده الشعرية[5].

كانت له مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء و فحول الشعراء، تناقش فيها قضايا العلم و الفقه و الأدب و السيرة النبوية، وكان له فيها رأي محمود و نقي بناء، و صفه الإمام أحمد المقري

---

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 216- التنسي، المصدر السابق، ص 141.
[2]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 26.
[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 217-218 – يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205-206.
[4]- التنسي، المصدر السابق، ص 161.
[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 270-271.

بأنه "يفرض الشعر و يحب أهله". ساهم في تأسيس مكتبة عمومية في تلمسان و جلب لها مختلف الكتب[1] ، كما شجع الحركة الفكرية و أكرم العلماء و الشعراء و أحلهم منزلة سامية في بلاطه، فكان عهده عهد ازدهار علمي و أدبي و تقدم ثقافي، و قد مكن اهتمامه بشؤون الثقافة من ظهور شخصيات تلمسانية لمعت في سماء المغرب العربي مثل "الشريف التلمساني" ولده "عبد الله" و "سعيد العقباني" و ابنه "قاسم" و "أبن مرزوق الخطيب" و "ابن مرزوق الحفيد"[2] .

لقد خلف "أبو حمو الثاني" آثاراً أدبية تنبئ عن ثقافة عربية لا يستهان بها و تعطينا فكرة صادقة عن الذوق الأدبي الذي كان سائدا في عهده بالمغرب الأوسط[3].

فإن الوسط الأدبي لم يبلغ من الرقي في أي عصر من العصور الزيانية ما بلغه في عصر "أبي حمو موسى الثاني". و هذا ليس بالغريب فلقد كان الملك نفسه من أهل العلم و المعرفة و فنون الأدب.

---

[1]- محمد بن عمر الطمار، المرجع السابق، ص323.
[2]- المرجع نفسه، ص 206.
[3] - عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص229.

خامسا: الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط:

ساهم المهاجرون الأندلسيون تجاه المغرب الأوسط بقسط وافر في نشاط الحياة الثقافية سواء أولئك الذين هاجروا بسبب الضعف الذي أصاب الأندلس و تكالب قوى النصارى على مدنها أو لأسباب أخرى[1].

و استقر عدد كبير منهم بالمغرب الأوسط و عاصمته تلمسان جلهم كان من العلماء و الفقهاء و الأدباء و الصناع [2]، و حملوا معهم علومهم و آدابهم و فنونهم و عوائدهم و أزيائهم، فقد نظموا حلقات تعليم بالمدارس و المساجد و خاصة بالمسجد الجامع، و كان المسجد قبل هذه الآونة زيادة على وظيفته الدينية مركز الثقافة العربية و الإسلامية منذ عهد المرابطين كمساجد حواضر البلاد، ولكن إثر نزوح الأندلسيين إلى تلمسان أصبح معهد التدريس لا يقل أهمية عن جامعي الزيتونة و القرويين. فبرز عدد وافي من العلماء في الأصول و التفسير و التوحيد و العلوم اللسانية و الرياضية [3].

وبذلك ازدهرت الحركة الفكرية بتلمسان بفضل أفراد هذه الجالية الذين قاموا بنشر التعليم بواسطة إلقائهم بالمؤسسات التعليمية الموجودة بالمدينة و من بين الذين درسوا بتلمسان نذكر "محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش الخزرجي" [4]، الذي قام بإحدى مساجد

---

[1]- محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص117.

[2]- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، مطبعة تلمسان، تلمسان، ط1، 2005،ص 199-201.

[3]- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص221.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق. ص252.

تلمسان بتفسير القران لطلابه و شرح أسماء الله الحسنى، كما يبدو عليه أنه درس الأصول و التصوف لأنه ألف فيهما، و من أبرز التلاميذ الذين تخرجوا عليه "عمر بن العباس التلمساني"، و"يحي المغيلي المازوني" و"الحافظ عبد الجليل التنسي"...وغيرهم[1] .

سادسا: الرحلات العلمية:

تعتبر الرحلات العلمية شرطاً أساسياً في طلب العلم، وذلك عبر عنه "عبد الرحمن بن خلدون" بقوله:" الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال"[2].

لقد كان طلاب المغرب الأوسط في بداية الأمر يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدينتهم بل يطوفون البلاد للقاء العلماء المشهورين للأخذ عنهم، و كان الكثير منهم يرتحل إلى أقطار المغرب الأخرى و الأندلس و المشرق من أجل البحث و التعمق في العلوم في وقت كان السفر شاقاً و صعباً و الرحلات متعبة و الطرق غير معبدة و آمنة و القوافل غير منتظمة، وذلك للتعرف على البلدان و طبائعها و حالتها الاجتماعية و الثقافية و غيرها من نواحي الحياة [3] .

فقد تنقل الدارسون التلمسانيون لطلب العلم و الاستزادة منه، ولقاء كبار الشيوخ المشهورين لأن الرحلة في طلب العلم كانت من المسائل المحمودة، فكانوا لا يكلون عن السعي في سبيل

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 288.
[2]- ابن خلدون، المقدمة، دار الجبل، بيروت، (د ت) ص 130.
[3]- لخضر العبدلي الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633هـ - 962هـ/1236م-1554م)، دكتورة دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005 .ص 99.

الدرس و التحصيل و تبادل الآراء في مختلف العلوم العقلية و النقلية، و من جسور العلم و الثقافة عبر الأجيال و يتمثل هذا الاتصال في تداول المعارف و الكتب و تبادل الإجازات اعترافا متبادلاً بين الشيوخ أنفسهم، لما يجدونه من معارف و لما يحصلونه من علوم بعضها كان باللقاء المباشر و البعض الأخر بالمكاتبة، فقد تنقلوا إلى تونس تدفعهم الرغبة في المزيد من الدرس و التحصيل على شيوخ الزيتونة، و إلى مدينة فاس للإجازة على علماء القرويين، أو الأخذ من فقهاء غرناطة و بجاية، ومدارس الإسكندرية، والجامع الأزهر بالقاهرة، و الانتساب إلى مراكز التعليم بمكة المكرمة و المدينة المنورة، وكذلك زاروا معاهد الشام و بغداد للتعمق في دراسة الفقه و أصوله، والتعرف على المدارس النحوية و اللغوية و الحديث و التفسير و غيرها من علوم العصر[1].

و إذا كانت دوافع الرحلة و بواعثها تختلف من شخص لآخر، فإن القصد العلمي كان أقواها و أشملها، وسواء كانوا يتمتعون بحظ وافر من العلم أو بالقليل منه، فإنهم كانوا يتجهون نحو قاعة الدرس و الاعتناء بالتحصيل العلمي و نشره والاستكثار من مجالسة الشيوخ، والرواية عن أبرزهم و قد أصبح هذا الاعتناء تقليدياً علمياً متعارفاً عليه عن أهل تلمسان ولا سيما و أن مدينة تلمسان في عهد بني زيان قد كثر فيها النشاط العلمي و الأدبي و تميز شيوخها بقراءاتهم المتنوعة، فكانت لهم براعة في رواية الحديث و دراسة فائقة به فضلاً عن التزود بالتيارات الفكرية المختلفة التي ظلت تتسرب إلى بلاد المغرب عبر مختلف العصور و الحقب[2].

---

[1] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص328.

[2]- المرجع نفسه، ص 328.

و لقد جاء في الأثر"أطْلُبُواْ العِلْمَ وَلَو فِي الصِّين" و قد شاع هذا الرأي بين طلاب العلم خلال كل زمان ليحث الناس على طلبه، و بواسطة الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء المغرب و المشرق العربيين، فتأثرت به الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط [1] حتى صارت تلمسان مركزا علميا يضاهي مراكز الثقافة في كل من تونس و المغرب، و قد زاد هذا الإشعاع الفكري خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين حيث أدى بطلاب العلم أن يشدوا إلى تلك المدينة الرحال لاستكمال علومهم بها، لما كان فيها من حكمة و منطق و طب و رياضيات و موسيقى و غيرها من العلوم [2] و تذكر لنا المصادر التي اعتنت بتراجم العلماء الكثير من علماء المغرب الأوسط الذين ساهموا بقسط كبير في الحياة الثقافية بالأندلس، و الكثير من علماء الأندلس ممن كان لهم أدوارا ثقافية هامة بالمغرب الأوسط لعل أبرزهم "أبن خميس التلمساني" (650هـ - 708هـ) الذي تولى التدريس بغرناطة، و "مرزوق الخطيب" (710-781هـ) الذي عين خطيبا بجامع غرناطة، ومن علماء الأندلس نذكر "ابن خطاب المرسي" (ت686هـ/1289م) الذي دخل تلمسان و نزل على سلطانها "يغمراسن بن زيان" (633-681هـ) فأحسن إليه و عينه كاتباً له [3] و "لسان الدين بن الخطيب" الذي كانت له مراسلات عديدة مع علماء المغرب الأوسط و سلطانه "أبي حمو موسى الثاني" [4].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص26.
[2]- لخضر العبدلي، المرجع السابق، ص100.
[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205 – التنسي، المصدر السابق، ص127.
[4]- المقري شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد البقالي، ج7، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط1، ص124.

ضف إلى ذلك العديد من الشيوخ و العلماء التلمسانيين الذين تجشموا مشقة السفر في سبيل الدرس و التحليل و التعمق في العلم و المعارف حتى صاروا شيوخا علماء و ساهموا بقسط كبير في إثراء النهضة الفكرية و التعليمية في أقطار المشرق و المغرب التي حلوا بها خلال العهد الزياني، إلا أن العدد القليل الذي سنذكره ربما يكون كافياً لإعطاء صورة واضحة على رغبة أهل تلمسان في طلب العلم و السفر من أجله وركوب صعابه كآل مرزوق، وآل التنسي وآل الإلمام، وآل المقري، وآل الشريف التلمساني، وآل النجار، وبنو أبي الحسن، وبنو أبي العيش، وآل زاغو و السراغنة و غيرهم من البيوتات و الأسر التي أنجبت العديد من العلماء و الفقهاء و الأدباء[1].

الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة مفيدة لأن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم تارة علماً و تعليماً و ألقاء و تارةً محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة إلا أن حصول الملكة عن المباشرة و التلقين أشد استحكاماً و أقوى رسوخاً، والرحلة تفيد كثرة الشيوخ، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة و رسوخها فتعدد المشايخ يفيد تعدد الطرق إذ أن لكل منهم طريقته في التعليم[2].

نقل المهاجرون الأندلسيون مؤلفات عديدة في مختلف العلوم و الفنون حيث أصبحت مصادر للدارسين بتلمسان مثل الدار النثير و العذب النمير في شرح كتاب التيسير "لابن أبي السداد المالقي" (705هـ/1305م)، حرز الأماني و هي قصيدة لأمين في القراءات تعرف بالشاطبية

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص329.
[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص1044-1045.

"لأبي القاسم بن غيرة الشاطبي" (590هـ/1193م)، التجريد "لأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي" (736هـ/1336م) و غيرها[1].

سابعا: الوراقـــــــة:

إذا كانت الحركة الفكرية بحضارة تلمسان قد استفادت من توجيه سلاطين بني زيان و تشجيعهم المستمر لها، فإنها قد وجدت أيضا في رعايتهم للفنون و الآداب و تدعيم النشاط الثقافي عملاً آخر لا يقل أهمية عن باقي العوامل التي كانت دافعا أساسيا للنمو الثقافي الذي شهدته عاصمة بني زيان [2].

فقد ازدهر في عهدهم أيضا فن نسخ المصاحف و أمهات الكتب الدينية المشرقية و المغربية فضلا عن المصنفات التلمسانية المحلية، و مختلف الكتب العلمية و الأدبية، و فن الرسائل الديوانية في البلاط الزياني، هذه المؤلفات التي ملأت بها القصور و الخزائن العامة والخاصة، وتنافس الناس في اقتنائها أو نسخها، فبرز بذلك فن الخط و التجليد و التوريق و التزويق و تذهيب العناوين و تلوين بعض حروفها و تجميل أشكالها و إخراجها في ثوب جميل يليق بمضامينها[3].

و قد تنافس الفقهاء و الخطاطون و الطلبة و حتى بعض السلاطين الزيانيين على نسخ المصاحف و الكتب و تحبيسها على المدارس و المساجد و الزوايا وإرسال بعضها إلى البقاع المقدسة بالحجاز و بالقدس لوقفها على الحرمين بالمسجد الأقصى، و من بين السلاطين الذين

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص100-132
[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص750.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص336.

اشتهروا في هذا المجال نذكر السلطان "أبي زيان الثاني" (796هـ-801هـ)[1]، و اشتهر في هذا المجال أيضاً "أبن مرزوق الخطيب" الذي عرف بحسن الخط، وكان له في القيصرية يبيع فيه السلع و ينسخ فيه المصاحف كما كان له خط رائق و يحسن الخطين المغربي و المشرقي، فكان السلطان "أبو الحسن" يستدعي لكتبة تحبيسات بالخط الشرقي و هو دليل على أن التلمسانيين تأثروا بالخط المشرقي[2] كما تأثروا بالخط الأندلسي و ذلك لاحتكاكهم بالأندلس و بالمهاجرين الأندلسيين.

و بذلك كان لهذا التنافس دور بالغ الأهمية في الأوساط العلمية و الأدبية، و عاملاً مساعداً على النمو الثقافي و انتشاره، و على تطور فن النسخ و الوراقة و ازدهارها بمدينة تلمسان.

ثامنا: أحداث التقليد و المنافسة المغربية:

شكّلت أحداث التقليد و المنافسة بمدن المغرب الإسلامي في فترة ما بعد الموحدين ظاهرة طبعت بها معظم أجهزة الدولة السياسية و الدينية و التعليمية، فكانت أحداث التقليد و المنافسة من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور المدرسة بالمغرب الإسلامي ككل و بذلك ازدهار الثقافة و الفكر بتلمسان.

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص211.
[2] - المقري ، المصدر السابق، ج5. ص 391-416.

لقد أكّد "أبو حمو موسى الثاني" فكرة تقليد المشارقة للتعليم لاتخاذ المدارس في كتابة واسطة السلوك و هو يوصي ولي عهده "أبا تاشفين" بتقليد نظام الملك موضحا له كيفية لاهتمامه ببناء دور العلم للفقهاء و الرباطات و إنفاقه على طلبة العلم [1] .

لقد شكل الميدان العلمي أهم المجالات الأكثر منافسة بين السلطتين الزيانية و المرينية بتلمسان، فكانت المجلس العلمية للسلاطين مجالا خصبا لهذه المنافسة، مع العلم أن مجالس أبي تاشفين لم تخل من كبار العلماء و الفقهاء بدولته[2]، و لم يتجاوز اهتمامه بالمجلس العلمي حدود المناظرات الفقهية مع حضور ألمع فقهاء دولته علماً و تدريساً كالفقيهين "ابن الإمام أبي زيد" و "أبي موسى"، و الفقيه "أبي موسى عمران المشذالي"، و الفقيه "أبي إسحاق بن الحكم السلوي"، وطلبة العلم أمثال "أحمد بن محمد المقري".

تاسعا: النهضة العمرانية بتلمسان:

يعتبر العمران عاملاً مهما في تنشيط الحياة الثقافية بتلمسان، حيث أنه من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور المدرسة بتلمسان تلك النهضة العمرانية القوية التي أعلن"أبو حمو موسى"الأول الشروع في انجازها فور اعتلائه العرش الزياني[3] و التي جاءت كردة فعل طبيعية بعد كل ما تعرضت له المدينة من حروب و كذا الحصار المريني الطويل على المدينة، و يخبرنا "ابن خلدون": "أن هذه الحملة العمرانية قد بدأها "أبو زيان ثابت" (703-707هـ/1304-1308م) قبل

[1]- عمارة فاطمة الزهراء، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2009، ص25.
[2]- المقري، المصدر السابق،ج6، ص183-184.
[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص213.

وفاته بزمن قليل بعد استرجاعه كل أعماله بالمغرب الأوسط "فنظر في إصلاح قصوره و رياضه ، و رم ما تلثم من بلده"[1] .

يمكن القول عن هذه النهضة العمرانية بأنها إصلاحية[2] شملت مختلف أجهزة الدولة فكان أول ما انصرف إليه "أبو حمو إصلاح" كل ما لحق المدينة من خراب واهتم بالجانب العسكري و قام بتأسيس الأسوار و بناء الستائر[3] لحماية المدينة و تحصينها عسكريا و إحكام حراستها في حالة تعرضها لغارات مفاجئة.

و نظراً لما تعرضت له المدينة من أزمة اقتصادية حادة زمن الحصار دفعت "أبا حمو موسى" بإعادة بناء اقتصاد الدولة فقام بملأ الصناديق بالأطعمة و إنشاء المطامير و تخزين الطعام حتى أنه ملأ أبراج المدينة بالملح و الفحم و الحطب و لم يدع ما يحتاج إليه المحاصر إلاّ ووفره[4] و لقد استلزم هذا النمو العمراني الأول من نوعه في تاريخ الحاضرة أن يحظى الجانب الثقافي بالاهتمام المتميز عندما قام بإنشاء أول مدرسة مختصة بالتعليم[5].

هذا ما يدفعنا إلى القول أن النشاط العمراني الذي مس معظم أجهزة الدولة ساهم إلى حد كبير في بناء الحاضرة الزيانية من جديد و يمكن اعتبار هذه المرحلة بمثابة حجر الأساس أو القاعدة الأولى في نمو العمران بالمدينة.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص116.
[2]- التنسي، المصدر السابق، ص135.
[3]- الستائر: حائط قصير دون صور المدينة، ويسمى أيضا بالفصيل، التنسي، المصدر نفسه،ص136.
[4]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص212 – التنسي، المصدر السابق، ص135-136.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص118 – التنسي، المصدر السابق، ص139.

إن إجماع المصادر عن ضخامة العمران على عهد "أبي تاشفين" يدفعنا إلى القول بأنها مرحلة عمرانية متطورة أعطت البعد الحضاري للمدينة[1] نظرا لولوعه بالمنشآت و الإبداع في زخارفها و تنويعها ما بين قصور و دور و منتزهات و مصانع، وهذا ما دفعه لإنشاء المدرسة التاشفينية و التي نجح في تزيينها و زخرفتها حتى جعلها تنافس قصوره كدار الملك و دار السرور و قصر" أبي الفهر"[2].

إن هذا التطور العمراني الذي شهدته المدينة بحضور قوي في عهد السلطانين "أبي حمو موسى" و "لأبي تاشفين"، أعطى التعليم فرصة للظهور بمظهر التطور من خلال إنشاء المدارس و هذا ما ذهب إليه "أبن خلدون" في مقدمته "بأن رواج العلوم وازدهارها مرتبط بكثرة العمران"[3].

رافق التطور التاريخي لمدينة تلمسان تطور حضاري هام، ميزه اعتناء الحكام الزيانيين بالمنشآت الثقافية و المعمارية مما جعل من تلمسان عاصمة ثقافية و مركز إشعاع ثقافي ببلاد المغرب الإسلامي، و كانت تضاهي حواضر المغرب و الأندلس و حتى المشرق، ونظرا لتلك المكانة قصدها العلماء و الطلبة وأصحاب الحرف و الصناع خاصة من الأندلس، و فضلوا الإقامة بها وأكثر من مدحها الشعراء [4] . ووصفها الوزير الغرناطي "لسان الدين بن الخطيب" (ت776هـ/1375م) بقوله:"تلمسان قاعدة الملك وواسطة السلك وقلادة النحر و حاضرة البر و البحر....أصبحت للغرب باباً ولركاب الحج ركاباً...ولدور العلماء

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص215 – ابن خلدون، المصدر السابق نص 126.
[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص215-216.
[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص322-324
[4]- يحي لبن خلدون، المصدر السابق، ص86-90 – المقري، المصدر السابق ج8، ص306-355.

و الصالحين صدفاً... و تبجحت بوفور العمارة ودور الجباية و فازت من الاعتـــدال وأوصـــاف الكمال بأوفى نصيب..."[1].

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص29-30.

الفصل الثاني

حمل التسخين

الفصل الثاني

التعـــليم ومؤسســـاته

1/ التعليم:

أ – المناهج

ب – مراحل التعليم

ج – طرق التعليم وأساليبه

د – الإجازة العلمية

2/ المؤسسات التعليمية والثقافية

أ – المساجد

ب – الكتاتيب

ج – المدارس

د - المكتبات

أولاً: التعليـــــــــــم:

يعد التعليم من العوامل الأساسية الهامة التي تدفع عجلة الحركة الفكرية نحـــو التقـــدم و التطـــور و الازدهار، و ترقية العلوم و الآداب و نشر الثقافة و العلم بين أفراد المجتمع و ترقيته سلوكيا و حضـــاريا، فلقد عرف التعليم بالمغرب الأوسط تحسنا في المناهج و الأساليب و نستشف ذلك من الأخبار و الروايات فقد كانت طرق التعليم يراعى فيها المستوى العقلي لدى المتعلم.

1/ المنـــــــــــاهج:

لقد كانت المناهج التعليمية خلال العهد الزياني تعتمد في بداية الأمر على تحفيظ القرآن الكريم كلا أو جزءا مع مبادئ العلوم الدينية علما و عملا من وضوء و صلاة و تشهد و أسمـــاء الشـــهور العربيـــة و الأعجمية ابتدءا من السنة السابعة من العمر.[1]

أما مناهج التعليم، فكانت تختلف حسب العلوم و حسب طريقة الأستاذ في تدريسه فكان إلى جانب الطريقة القديمة التي تجعل من الطالب وعاء يملؤه الأستاذ بالمعلومات الغزيرة في شيء العلوم مـــن دون أن يكون له مجال لطرح الأسئلة أو المناقشة طريقة أخرى تتيح للطلبة فرصة مراجعة الأستاذ في نقطة معينة و مناقشته فيها، إلا أن جل العلماء كانوا يلجئون إلى طريقة ثالثة أكثر فائدة، يقوم الطالب فيها بدور هام في الوصول إلى المعرفة و يكاد الأستاذ لا يكون أكثر من مشرف على الأبحاث و موجه للدراسات[2]

---

[1]- أحمد ابن أبي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما مضى يعرض للمعلمين و آداب الصبيان، تحقيق أحمد البدوي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص 48.

[2]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق. ص 161.

و كان التعليم يزاول بالمساجد و المدارس المنتشرة بالمدن و القرى عبر أنحاء المغرب الأوسط حيث كانت تدرس أنواع العلوم الدينية و الدنيوية تبعا لمراحل التعليم. فكان لا ينتقل من فن إلى فن حتى يتقنه المتعلمون لأنه كما يقال: « أن ازدحام العلوم مقللة للمفهوم ».[1]

[1]- المغراوي، المصدر السابق، ص 39.

2/ مراحـــــل التعليم:

كان التعليم منتشرا في معظم قرى و مدن الدولة العبد الوادية، و كان ينقسم إلى قسمين قسم يـــزاول بالمساجد و قسم يعطى بالمدارس، كما كان يمر عبر مراحل تدريجية يتم فيها تحصـــيل مختلـــف المبـــادئ الأساسية للعلوم و المعارف، ثم التعمق في المسائل الفرعية.

أ – **مرحلة التعليم الابتدائي**: ينحصر التعليم في هذه المرحلة في تعلم القراءة و الكتابة و حفظ القـــرآن الكريم مع بعض مبادئ اللغة و الحساب و الخط[1] و يتم ذلك في الكتاتيب[2] حيث كان الصبيان يـــدخلون الكتاب في سن مبكرة بين الخامسة و السابعة و ذلك تبعا لاختلاف نضج الأطفال و تقدمهم في الفهم و التميز، و لذلك يبقى الأمر متروكا لتقدير آباء الأطفال فإن وجدوا أن الطفل بدأ يميز و يدرك دفعوا به إلى الكتاب قال "ابن سحنون" «إن بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر، ساقه أبوه إلى الكتاب».[3]

كان الصبيان يفتتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى، و يتعلمون الكتابة مـــن الضحى إلى الظهر، أما حصة المساء فكانت مخصصة لتدريس بقية المواد حسب المقرر الدراسي.[4]

كان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلم أو المؤدب، و قد قرر العلماء و الفقهاء جملة من القواعد يجب على المؤدبين التزامها عند قيامهم بوظيفتهم منها أن يحتمل أخلاق الصبيان بالصبر و الاحتمال و أن تكون

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 1038.

[2]- الكتاتيب: مفرده كتاب و قد اشتق اسم هذه المؤسسة من التكتيب و تعلم الكتابة و هي موضع تعليم الكتاب أي الكتابة و الجمع الكتاتيب أو الكتاب، المكتب المعلم و الكتاب الأطفال، أحمد أمين، ضحى الإسلام. ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 50.

[3] - محمد ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 64.

[4]- لخضر العبدلي، المرجع السابق، ص 91- 92.

همته مصروفة إلى نفع المتعلمين، و أن يكون على علم بأحوالهم و من النباهة و البلادة، و أن يتصف بالأخلاق الحميدة و الخبيرة بالقرآن و علومه.[1]

كما نبه العلماء على ضرورة عدم معاملة الصبيان معاملة شديدة حتى لا ينعكس ذلك على تحصيلهم الدراسي، و حتى لا ينفروا من الكتاب و بذلك يضيعون فرصة حفظ القرآن في صباهم و هي الفترة التي يكون فيها الطفل أكثر استعدادا لاستقبال المعلومات و حفظها و ترسيخها.[2]

ب - **مرحلة التعليم الثانوي**: كان من المتعين بعد انتهاء التلميذ من المرحلة الأولى التي يتلقى فيها المبادئ الأولية في الكتاب أو ينتقل إلى المرحلة الثانية حيث كان يتلقى العلم في إحدى دور العلم الأخرى و هي المسجد و الزاوية و المدرسة.[3]

وفي هذه المرحلة يقبل الطلبة على دراسة اللغة و النحو و الأدب و الفقه فيكتسبون معلومات وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى ثقافي كبير و من معرفة تعاليم دينهم و الإلمام بالعلوم اللسانية، أما الذين يريدون متابعة و مواصلة، دراستهم و التخصص في العلوم فإنهم كانوا ينتقلون إلى المرحلة الثالثة.[4]

ج- **مرحلة التعليم العالي و الجامعي**: تتم هذه المرحلة في المساجد و المدارس حيث كان يلقيها كبار الأساتذة و هذه الدروس كانت أوسع من الأولى في الشرح و الزيادة في المسائل العلمية، كما كان يقوم بتدريس الطلاب أساتذة متخصصون في مختلف المواد النقلية و العقلية، وكان سلاطين بني زيان يشرفون

---

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 41.

[2] - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 1042 – ابن سحنون، المصدر السابق، ص88 – 93 ، ابن مريم، المصدر السابق، ص 242.

[3]- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص 115.

[4]- مكيوي محمد، المرجع السابق. ص 135

شخصيا على تعيينهم و دفع أجورهم، و كان هؤلاء المدرسون يمتازون بغزارة العلم و المعارف، و غالبا ما كانوا من العلماء الرحالة الذين جابوا الأقطار في سبيل تحصيل علومهم.[1]

تميزت الدراسة في هذه المرحلة بحرية اختيار الطلاب للمواد التي يريدون دراستها، و عدم التقيد بالمقررات الدراسية[2]، حيث كانوا يدرسون علم القراءات و علوم الدين من تفسير و حديث و فقه و توحيد، و العلوم العقلية و الاجتماعية و الآداب و غيرها بمزيد من التعمق و التفصيل و هذا النوع من التعليم كان يزاول بالمسجد الأعظم الذي كان شبه جامعة على النمط القديم مثل الزيتونة بتونس و القرويين بفاس و الأزهر بالقاهرة.[3]

3/ طرق التعليم و أساليبه:

اختلفت طرق التعليم بالمغرب الأوسط من مرحلة إلى أخرى، و من مدرس إلى آخر حسب مناهج العلوم و تطورها نظرا للتطور الفكري و النضج العقلي و يمكن تحديدها كالتالي:

أ - **الإلقاء و الإملاء:** كانت هذه الطريقة معتمدة في الكتاتيب، حيث كان المعلم يجلس في وسط الكتاب و الصبيان يحيطون به في شبه نصف دائرة قعودا على الحصير، و كان يكتب القرآن على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة القلم، ويتم تحفيظ السور القرآنية و استظهارها حيث كان الأطفال يشرعون في الحفظ فرادى كل على شاكلته، أما المعلم يأخذ بيد صغار الأطفال يعينهم على التهجي و الحفظ و العصا لا تبرح يده يقرع بها رأس من خفض صوته أو تلهى عن الحفظ، و بعد ذلك يحل وقت

[1] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 351
[2] - المرجع نفسه، ص 347.
[3] - عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، عدد 26، 1975، ص 138، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، المرجع السابق. ص 36.

الكتابة فيبدأ المعلم في الإملاء مستعملا طريقة يملي بها على الطفل الأول آية و يتركه يكتب ثم يقبل على الثاني فيملي عليه آيته ثم يلتفت إلى الثالث فالرابع و هكذا دواليك[1]، ثم يتعقب المعلم كتابتهم لتدارك ما قد يعلق بها من الأخطاء، فإن أتم الطفل مرحلة التعليم في الكتاب بهذه الصورة التي أسلفناها يمتحن فيما يسمى بالختمة[2] و خلالها كان التلميذ يخير بين الانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع عنه إلى الحرفة التي يريد أن يزاولها لكسب عيشه.[3]

ب - **اختيار كتاب معين في أحد أصناف العلوم و شرحه:** كانت هذه الطريقة تستعمل للمراحل العليا من التعليم، كان الأستاذ يتولى شرح المصنف فقرة فقرة، و الطلبة يقيدون ما يستدعي انتباههم من شرح أستاذهم و أجوبته.[4]

ج- **السؤال و الجواب أو المحاورة:** انتقلت هذه الطريقة من إفريقية إلى المغرب الأوسط عن طريق ابني الإمام و عمران المشدالي[5]. و كانت طريقة شيوخ تلمسان تعتمد على البحث و إعمال الفكر في المسائل العلمية إضافة إلى الحفظ، كما كان الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات، و كان الأساتذة يقومون بالتوجيه و إدارة المناقشات و المناظرات.[6]

و قد شاع استخدام المختصرات في التدريس لتسهيل تلقين العلوم، لكن بعض علماء هذه الفترة أبدوا معارضتهم الصريحة لهذه الطريقة و اعتبروها مخلة بالتعليم[7].

---

[1]- لخضر العبدلي، المرجع السابق، ص 96.
[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العشر إلى القرن الرابع عشر، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 343 – 348.
[3]- محمد العروسي المطوي، كتاب آداب المعلمين لمحمد ابن سحنون ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص 55.
[4]- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، عدد 26، ص 139.
[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 772 – 773.
[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.
[7]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 42.

كانت طريقة تلقين العلوم بتلمسان للطلبة أحسن مما كانت عليه في غيرها من المدن العلمية المغربية، أي أن العلوم و الفنون لم تكن تلقى على الطلبة جزافا و إنما كانوا يتلقونها بالتدريج شيئا فشيئا إلى أن تحصل الملكة في العلم المطلوب، قال العلامة "عبد الرحمن ابن خلدون" في مقدمته بعد أن تحدث عن التعليم و طريقة إفادته بتونس«و انتقل من تونس إلى تلمسان ابن الإمام و تلميذه[1] فإنه قرأ مع "ابن عبد السلام"[2] على مشيخة واحدة و في مجالس بأعيانها» إلى أن يقول: «و بقيت فاس و سائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة و القيروان سنة التعليم فيهم فعسى عليهم حصول الملكة و الحذق في العلوم»[3].

فكلام "ابن خلدون" هذا دليل قاطع على أن ابني الإمام لما ذهبا إلى المشرق عام 720 هـ (1320م) و أخذ العلم على فطاحل علمائه "كالجلال القزويني" و أضرا به رجعاً إلى تلمسان بعلم غزير و طريقة جديدة في التعليم مفيدة و مغايرة للطريقة القديمة التي كان الطلبة يعتمدون فيها على الذاكرة لا غير بل صار الطلبة يناقشون و يناظرون و يبحثون و يلقنون الأسئلة على أساتذتهم إذا عرضت لهم مشاكل عويصة أثناء الدروس، كما أن الأساتذة صاروا يخاطبونهم حسب ما عندهم من المعلومات و حسب ما حباهم به الله تبارك و تعالى من الذكاء و الفطنة من دون تقصير و لا مبالغة[4].

فكان المجهود الذي يبذله الطلبة لحل رموز المشاكل هو الهدف الذي يقصده الأستاذ لما كان له أثر في تشحين ذهنهم و ترويضهم على الجدل و المناظرة و غرس حب البحث و الاضطلاع في نفوسهم فمما

---

[1]- المراد بابن الإمام الأخوان: أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى و المراد بتلميذه تلاميذهما الذين من جملتهم أبو عبد الله الشريف التلمساني و ابن مرزوق الخطيب الجد و أحمد المقري و أبو عثمان سعيد العثماني و أبو عبد الله البحصي و غيرهم.

[2]- هو الإمام ابن عبد السلام التونسي من علماء القرن الثامن الهجري و هو شيخ الإمام ابن عرفة.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 302 – 303.

[4]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 404.

يحكى عن "الآبلي" أنه كان يقول «الطلبة إذا ما شكلت مسألة أو ظهر بحث دقيق انتظروا أبـــا عبـــد الله الشريف»[1] و كان هذا الأخير أنجب تلامذته.

وهذا الرأي يبين لنا مدى مشاركة الطلبة الهامة في مناقشة الأستاذ خلال الدرس و دور النجباء منـــهم في إيضاح ما أشكل من المسائل، و تقرير أصح الأجوبة[2].

و هكذا انتشرت العلوم و ازدهرت ازدهارا لا منهية عليه لا في تلمسان فحسب بل في جميـــع أنحـــاء المغرب من أدناه إلى أقصاه.

4/ الإجـــــــازة العلمية:

بعد معرفتنا بمناهج التعليم و مراحله و طرقه، يجدر بنا أن نتعرض لجانب آخر و هو كيفيـــة اختيـــار الطالب ليصبح أستاذاً بحيث كان يتردد طويلاً بين مختلف البلدان للتعمق في الدراسة و البحث ليكون على بينة من طرق التعليم و أساليبه حتى لا يستطيع الثبات أمام النقاش و الأسئلة التي تطرح عليه من الطلبـــة المتحلقين حوله، فإذا ما أجاب و أقنع طلبته استطاع أن يواصل التدريس، أما إذا عجز فما عليـــه إلا أن يعود إلى الدراسة طالبا يتلقى العلم[3].

كان علماء المغرب الأوسط لا يكتفون بالإجازة التي يتلقونها من علماء بلدهم بل كانوا يتنقلـــون إلى الأماكن الأخرى لينالوا شرف الإجازة منها و التلقي عن أساتذتها و ذلك مما يمكن تسميته بالتبادل الثقافي بين بلدان المغرب و المشرق العربيين، حيث لعبت هذه الطريقة دورا مهما في توحيد الثقافـــة و العلـــم و

[1]- ابن مريم، السبتان، المصدر السابق، ص 170.
[2]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق. ص 161.
[3]- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1973م. ص 245 – 246.

امتزاج طرائقها و أساليبها المتعددة، و قد كان الطالب يسعى لطلب العلم عندما يرى ذلك ممكنا ويصير ذا كفاءة تأهله ليجلس مجلس الأساتذة و هذا لم يكن سهلاً[1].

تعدُّ الإجازة الشهادة العلمية المحصل عليها في المستوى العلمي الذي وصل إليه الطالب بعد أن أخذ من المعرفة و العلوم ما يهيئه إلى إجازة تدريس الكتاب المجاز له أو رواية الأحاديث المؤذون له في روايتها، و يشترط في الإجازة أن يكون الفرع معرضا للأصل و أن يكون المجيز عالما بما يجيز به ثقة في دينه و روايته معروفا بالعلم، و يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسماته حتى يوضح العلم إلا عند أهله[2].

و على عادة التعليم بجميع المراكز التعليمية بتلمسان لم تكن المدرسة بمنح الإجازات العلمية إلا في الحالات النادرة و برغبة الطلبة في أخذ الإجازة من المدرسين، فنجد سعيد ابن محمد العقباني قد أجاز محمد ابن عقاب الجذامي، و هو الطالب الذي أجازه من جملة طلبته بالمدرسة اليعقوبية[3].

ثانيا: المؤسسات التعليمية و الثقافية:

1/ المساجد:

ميز الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان الدور الذي قامت به المساجد في ترسيخ العقيدة الإسلامية إضافة إلى دورها التعليمي، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة بل كانت عبارة عن مؤسسات تعليمية تدرس بها مختلف أصناف العلوم خاصة الدينية. و كان الهدف الرئيسي منها هو إقامة الصلاة و عبادة الله بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

[1]- لخضر العبدلي، المرجع السابق، ص 101.
[2]- أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 267.
[3]- ابن مريم، المصدر السابق ص 107.

﴿ ٱلآخِرِ ﴾[1]، ﴿ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً ﴾[2] ، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً ﴾[3]. قال "أحمد أمين" و هو يصف المسجد "كان أكبر معهد للدراسة، لم تكن المساجد للعبادة و حسب و لكن كانت تؤدي أعمالا مختلفة فهي مكان العبادة تقام فيه الصلاة و تخطب فيه الخطب كما كانت محكمة للتقاضي، و قام المسجد مقام المدارس و الجامعات في العصر الحديث"[4]

و مع مر السنين و الأزمان صار المسجد مركزا ثقافيا لأن الدراسات العلمية تطورت بتطور الزمن و توسعت مهمة المسجد فاتخذوه مكانا للعبادة و معهدا للتعليم و دار للقضاء و ساحة تتجمع فيها الجيوش و مترلا لاستقبال السفراء[5].

كانت المساجد منتشرة بالمغرب الأوسط و عنيت بتحفيظ القرآن و الحديث، و تدريس النحو و الفقه و اللغة و الأدب، أما المساجد الجامعة فكانت شبيهة بالمعاهد العليا، و كانت تلقن العلوم الدينية من الفقه و علوم القرآن و الحديث و علوم اللسانية[6].

تعتبر المساجد الجامعة أحد المرتكزات التي يقوم عليها التعليم العالي، لذلك فقد أولتها السلطة الزيانية منذ اعتلائها الحكم جانبا من الاهتمام عن طريق تجديد العمران الديني و التعليمي الموروث، فلقد أضاف "يغمراسن بن زيان" (633 – 681هـ / 1236 – 1283م) البصمة الزيانية على الجامعين

1_ سورة التوبة الآية 18.
2_ سورة الحج الآية 28
3_ سورة الجن الآية 62
4_ أحمد أمين، ضحى الإسلام المصدر السابق، ج2، ص 52.
5_ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 102.
6_ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد بني زيان، دكتوراه دولة، قسم تاريخ، تلمسان، 2005، ص 66 – 67.

"يغمراسن بن زيان" (633 – 681هـ / 1236 – 1283م) البصمة الزيانية على الجامعين الأعظمين أجادير[1] و تاجرارت[2] عندما أضاف لهما الصومعتين[3]، كما قام وريث عرشه السلطان "أبو سعيد عثمان" (681 – 703هـ / 1289 – 1304م) بإنشاء مسجد "أبي الحسن" سنة (696هـ / 1296م)[4].

لم تكتف السلطة بهذا الجهد المبذول نحو التعليم، بل حاولت إثبات سلطتها على التعليم فرأت ضرورة انتقاءها لأكبر فقهاء المغرب و منحهم المناصب الهامة للتدريس بالحاضرة فكان هدف السلطات – يغمراسن- واضحاً مع الفقيه "أبي إسحاق التنسي" عندما نصبه للتدريس بالجامع الأعظم بعد محاولاته العديدة و المتكررة استقدامه إلى تلمسان واستقراره بها للتعليم[5]، ثم تولى نفس المنصب التعليمي أخوه الفقيه "أبو الحسن التنسي"[6] بعد وفاة "أبي إسحاق"، و أضاف له السلطان "أبو سعيد عثمان" أيضاً التدريس بالمسجد الذي أنشأه مسجد "أبي الحسن"[7].

علاوة على ذلك فإن المسجد الجامع كان المركز الثقافي الذي يجتمع فيه الملوك والعلماء، وتحاور فيه المجالس العلمية والمناظرات الفقهية وتنعقد فيه الاجتماعات العمومية لأخذ رأي الأمة وتقام فيه الأمسيات الشعرية.

1 _ المسجد الأعظم بأجادير، قام بتأسيسه إدريس الأول عند قوله تلمسان سنة 173هـ / 789م: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 51.

2_ المسجد الأعظم بتاجرارت: يعود الفضل في إنشائه إلى يوسف ابن تاشفين المرابطي سنة 475هـ / 1066م / و في سنة 530هـ / 1139م تم تزيينه بأمر من الأمير علي ابن يوسف ابن تاشفين: جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة تلمسان ، دار التل للنشر، الجزائر، 2004م ص 27 – 28.

3_ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 207، التنسي، المصدر السابق، ص 129..

4_ مسجد أبي الحسن قام بإنشائه أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ / 1296م و يقع هذا المسجد قرب الجامع الأعظم قبالة باب البنود: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 209، جورج مارسي، المرجع السابق، ص 48

5_ التنسي، المصدر السابق، ص 126 – 127

6_ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي، ذو مكانة في العلم و الفقه، كما نال الحظوة و المكانة عند السلاطين، كان سفيرا بين ملوك المغرب و المشرق، كما كان فقيه تلمسان لدى أبو يعقوب أثناء الحصار، و كان قد خرج إليه برسالة و لم يعد، توفي قبل انتهاء الحصار سنة 706هـ و حضر السلطان أبو يعقوب جنازته بحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 144، ابن مريم، المصدر السابق، ص 28 – 29..

7- التنسي، المصدر السابق، ص 127.

و من بين المساجد التي كان لها الدور الفعال في تخريج الكم الهائل من العلماء مسجد أولاد الإمام الذي أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأول حوالي سنة 710هـ / 1310م [1]، ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى اللذين وفدا عليه من برشك فأكرمهما.

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 32.

2/ الكتاتيـــــب:

كانت تعنى بما هو قبيل التعليم الابتدائي و كان التعليم فيها يقوم على حفظ القرآن و رواية الشعر و التدريب على القراء و الكتابة مع تعلم أولويات الحساب، و كانت تنتشر الكتاتيب في المدن و القـــرى و كانت عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء و قد خصصت لتعليم الأطفال.

كانت الكتاتيب مؤسسات تعليمية خاصة يقوم بإنشائها خواص في الغالب أو تبنى في بعض الأحيـــان من قبل جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين[1]، و إذا استأجر المعلم المحل لتعليم صبيان معلومين فعلى أولياء الصبيان كراء المحل[2].

كان موضع التعليم عبارة عن غرفة بسيطة أثاثها الحصير المصنوع من السمار و الحلفاء كما كان لكل تلميذ لوح من خشب مصقول و دواة للحبر، و قلم من قلم جاف و إناء يمحون فيه ألواحهم، و هو مـــا يسمى بالمحو يصبون فيه الماء الطاهر ثم يحضرون له حفرة في الأرض يصبون ذلك الماء فيجف[3].

كان اللوح و ما زال الوسيلة المعتادة لتعليم الأطفال في الكتاتيب و كان للمعلم شروط يجب توفرها فيه ليكون أهلا لمباشرة تلك المهنة و قد أورد ابن أبي جمعة في كتابه حيث قال: "المعلم الذي لا يعـــرف الإظهار و الإدغام، و الإهمال و الإعجام و التفخيم و الترقيق و أحكام القرآن لا تجـــوز لـــه الحذقـــة"[4]. ومن الملاحظ أن تعليم القرآن في عصرنا الحاضر لا يزال منتشرا بالكتاتيب في المدن و القرى عـــبر أنحـــاء الوطن، و هذا يرجع إلى العصور الإسلامية و منها عهد بني زيان حيث كان التعليم منتشرا في شتى مدن

---

[1]- أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية، إعداد محمد حجي و محمد العرايشي، أحمد شرقاوي إقبال، ج8، دار الغرب، بيروت، 1981، ص 156.
[2]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 95.
[3]- المصدر نفس، ص 75.
[4]- المغراوي، المصدر السابق، ص 24.

الدولة الزيانية و معظم قرائها و كان ينحصر في مرحلة أولى في تعلم الكتابة و القراءة و حفظ القـــرآن و ذلك في الكتاتيب[1].

و خلال القرن 8 – 9هـــ / 14 – 15م ازدهرت الكتاتيب من حيث التنظيم و المواد المدرسة، وكان سيشرف عليها مؤدبون و مقرءون[2].

[1]- حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية، الأصالة، عدد 26، ص 138.
[2]- الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 261.

3/ المـــــــدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية و التعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، و أول مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البهيقية بمدينة نيسابور أوائل القرن 5هـ / 11م و في 457هـ / 1065م قام الوزير السلجوقي "نظام الملك" ببناء المدرسة النظامية ببغداد أما في بلاد المغرب فقد أسست أول مدرسة في مدينة سبتة سنة 635هـ / 1237م و في تونس أسس السلطان "أبو زكريا الحفصي" المدرسة الشماعية و التي تسمى أم المدارس فيما بين 633هـ و 647هـ/ 1235 – 1249م، وانتشرت حركة بناء المدارس بالمغربين الأدنى و الأقصى، أما بالمغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية مطلع القرن الثامن الهجري / 14م، و قلة ملوك بني زيان ملوك المغرب و المشرق في بناء المدارس و الاعتناء بها و الإشراف الشخصي عليها و تعيين طاقمها للتدريس[1].

و كان الهدف من وراء حركة بناء المدارس بتلمسان من طرف الدولة هو نشر التعليم و الثقافة من جهة، و من جهة أخرى توجيه الرعية لخدمة السياسة المذهبية لبني زيان و هي نصرة المذهب المالكي و العمل على نشره، و كانت المدارس إحدى الوسائل المتاحة لتحقيق تلك الغاية[2].

كما كان سلاطين بني زيان يحرصون على تعيين كبار الفقهاء المالكية في عصرهم للتدريس في مدارسهم التي أنشؤوها، و قد اشتهرت بتلمسان في العهد الزياني المدارس التالية:

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص325، عبد الرحمن بالأعرج، مرجع سابق، ص 35.
[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق. ص 325 – 326.

مدرسة أولاد الإمام (المدرسة القديمة):

شهد العقد الأول من القرن 8 هـ/ 14م البداية التأسيسية للمدارس التعليمية بتلمسان و كان ذلك على عهد أبو حمو موسى الأول، و تعد مدرسة أولاد الإمام من أهم آثاره العمرانية الجديدة و الجميلة بالمدينة على حد تعبير التنسي[1].

و لعل غاية أبو حمو من إنشائه المدرسة هو العمل على تأسيس المجال العلمي المخصص لتعليم الكبار من الطلبة، و هذا بعد اقتناعه بمكانة الفقيهين ابني الإمام و اقتناعه بضرورة وجود المدرسة ضمن مؤسسات الدولة.

إن سبب إنشاء "أبو حمو" المدرسة يعود إلى درايته برغبة الفقيهين في استقرارهما بتلمسان و الذي تعذر بسبب الحصار[2] وتعد شهادة المريني "منديل بن محمد الكناني" بمكانتهما العلمية السبب المباشر الذي حفز "أبو حمو" على اختطاط المدرسة "لابني الإمام" [3].

إن تحديد تاريخ بداية الأشغال بالمدرسة يدعونا إلى النظر في رواية ابن خلدون المتعلقة بقدوم الفقيهين إلى تلمسان مباشرة بعد وفاة يوسف ابن يعقوب المريني سنة (706هـ / 1306م)[4] هذا النص الذي يؤكد فيه قدومهما أثناء عهده بالحكم "....فأوصلهما – الكناني – إلى أبي حمو و اختط لهما المدرسة المعروفة بهما في تلمسان، و أقاما عنده على هدي العلم و سننهم"[5].

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص 139.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 118.
[3]- المصدر نفسه، ص 31.
[4]- المصدر نفسه، ص 31.
[5]- المصدر نفسه، ص 118.

ويقول المقري أن "أبا زيان" و "أبا حمو" اختصا ابني الإمام إلا أن "أبا حمو" كان شديد الاعتناء بهما[1].

فيبدو من هذين النصين أن بداية الأشغال بهذه المدرسة كانت بعد تولي أبي حمو الحكم مباشرة خلال سنة (707هـ / 1307م) أي خلال السنة الأولى من حكمه[2] و انتهت الأشغال بها سنة (710هـ / 1310م).

تقع المدرسة داخل المدينة من الجهة الغربية[3] غير بعيدة عن باب كشوط[4] بينما انفرد ابن خلدون بالقول أنها تقع بناحية المطمر[5].

إضافة إلى بيوت الطلبة يوجد في المدرسة إيوانان يمثلان قاعة الدرس، فكان لكل من المدرسين أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى إيوان خاص به للتدريس، و كما أنشأ لهما مترلين لسكنى الفقيهين[6]، الفقيهين[6]،

بالإضافة إلى المسجد الملحق بالمدرسة و الذي ما يزال قائما و يطلق عليه مسجد أولاد الإمام[7].

المدرسة التاشفينية (المدرسة الجديدة):

هي ثاني مدرسة أنشأت بتلمسان[8] بأمر من السلطان الزياني "أبو تاشفين الأول" (718-737هـ / 1318- 1337م)[9]، فلا تكاد تخلو كتب التاريخ من وصفه بحبه الشديد للبناء و التشييد، و ولوعه

---

[1]- المقري، المصدر السابق ، ج6، ص 181.
[2]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 130، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 118، التنسي، المصدر السابق، ص 139.
[3]- التنسي، المصدر نفسه، ص 139.
[4]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، جورج مارسي، المرجع السابق، ص52.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 118.
[6]- المصدر نفسه ، ص 118، جورج مارسي، المرجع السابق، ص 53.
[7]- المرجع نفسه، ص 52.
[8]- التنسي، المصدر السابق، ص 141 – 142، ابن مريم، المصدر السابق، 65.
[9]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 215.عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 123، التنسي، المصدر السابق، ص 138 – 139.

ببناء الدور و القصور و المترهات ، و تعلقه بالفنون المعمارية الجديدة و التي كانت شغله الشاغل[1]. من أجل ذلك " جلب من الأندلس البنائين و أسرى الروم و الزلاجين و الزواقين، فبنى القصور و المنتزهات و غيرها و خلد آثار لم تكن لمن قبله كدار الملك و دار السرور و أبو الفهر و الصهريج الأعظم و كذلك شجرة الفضة"[2].

و يعد بناء "أبو تاشفين" للمدرسة الجديدة أهم إنجاز ثقافي عزز به الحركة العلمية بتلمسان و أكبر دليل على رعايته للعلوم و الفنون.

ويطلق عليها المدرسة الجديدة للتفريق بينها و بين المدرسة القديمة – مدرسة أولاد الإمام- و أيضاً يطلق عليها بالمدرسة التاشفينية[3] نسبة إلى مؤسسها السلطان "أبو تاشفين"، و لعله أنشأها لأنه رأى أن مدرسة ابني الإمام صارت لا تكفي لتفاقم عدد الطلبة و تهافتهم على العلم و الأدب[4].

أسس السلطان "أبو تاشفين عبد الرحمن الأول" هذه المدرسة بجانب المسجد الكبير بتلمسان و عين للتدريس بها الفقيه "أبا موسى عمران المشذالي" (ت 745هـ / 1345م)، و اهتم الصناع بتجميلها و زخرفتها، و احتفل السلطان بتدشينها رسميا بحضور مشيخة تلمسان و الأدباء، و ضلت هذه المدرسة تقوم بوظيفتها التعليمية طوال عهد الدولة الزيانية[5].

فلقد أبدع المهندسون و البناءون الأندلسيون في تصميمها و بناءها[6] و أودع فيها أبو تاشفين جزءا كبيرا من زخرف قصوره، و لم يترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة إلا و شيدت مثله فيها[1] حتى

[1]- المصدر نفسه، ص 140 – 141، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 216.
[2]- المصدر السابق ص 216، التنسي، المصدر السابق، ص 140 – 141.
[3]- المقري المصدر السابق، ج7، ص 169، ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص65.
[4]- عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 128.
[5]- التنسي، المصدر السابق، ص 141، حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 61، عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 142.
[6]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 216، التنسي، المصدر السابق، ص 141 – 142.

جعلها و كأنها قصر ينافس قصوره في الجلال و الروعة، و قد وصفها التنسي بالمدرسة عديمة النظير[2] و بذلك أراد السلطان أبو تاشفين من عاصمته أن تضاهي تونس و فاس و غرناطة إلا في الميدان الثقافي فحسب بل في الفن المعماري أيضا، فلا يظهر عز الدولة و عظمة سلطانها إلا بالثقافة و الحضارة.

و المدرسة تحفة فنية فريدة تضم عدة بنايات و رواقات[3] و هي ذات طابع أندلسي، وفر فيها أبو تاشفين كل وسائل الراحة للطلبة و المدرسين[4].

و قد أروى المقري ما شاهده مكتوباً على دائرة مجرى الماء بالمدرسة التاشفينية[5] قائلاً:

أُنْظُر بِعَيْنِكَ بَهْجَتِي وَ سَنَائِي وَ بَدِيعُ اتْقَانِي وَ حُسْنُ بِنَائِي

وَ بَدِيعُ شَكْلِي و اعْتَبِر فِيمَا تَرَى مِن نَشْأَتِي بَلْ مِنْ تَدَفُّقِ مَائِي

جِسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِبٌ سَيَلاَنُهُ صَافٍ كَذُوبِ الفِضَّةِ البَيضَاءِ

قَدْ حَفَّ بِي أَزْهَارُ وَشِّي نَمَّقَت فَغَدَت كَمثلِ الرَّوضِ غِبَّ سَمَاءِ

لكن مصير هذه المدرسة كان مؤسف، فقد تعرضت سنة 1843م للهدم الأولي في ملحقاتها التي تشغل الناحية الجنوبية و الشرقية ليتم تشييد المبنى الأول للبلدية وفي سنة 1873م و بناءً على قرار الإدارة الفرنسية هدمت المدرسة بالكامل بدعوى توسيع الطرق لتكميل و توسيع مقر البلدية[6] كما أنشأ بجانبها ساحة كبرى[7].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 141.
[2]- المصدر نفسه، ص 142.
[3]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 141.
[4]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 38.
[5]- المقري، المصدر السابق، ج7، ص 169 – 170.
[6]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 39.
[7]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 62.

يُعدُّ هدم المدرسة التاشفينية أحد الأهداف الاستعمارية في القضاء على المعالم الحضارية للجزائر و محاولة طمس شخصيتها الإسلامية، كما أنها خسارة كبيرة لتاريخ الزيانيين بالمغرب الأوسط.

ج – المدرسة اليعقوبية:

بعد عودة البيت الزياني إلى الحكم سنة 760هـ /1359 م على يد السلطان"أبي حمو موسى الثاني" نجده قد أضاف إلى جانب الصروح الثقافية بالمدينة مدرسة أخرى تعد الخامسة بتلمسان.

إن تجاوز اهتمام أبو حمو العلوم العقلية و النقلية و تفوقه في الشعر و النثر إلى مرحلة التأليف في السياسة المملوكية و تنظيماتها من خلال كتابة واسطة السلوك في السياسة الملوك دلالة واضحة على تفوقه العلمي الذي كان أحد العوامل التي حفزته لإنشاء المدرسة[1].

بدأت أشغال بناء المدرسة سنة(763هـ/ 1362 م)[2] ، و كان تدشينها في الخامس من شهر صفر سنة 765هـ / 1364 م[3].

وسميت باليعقوبية شبة إلى أبيه "يعقوب" الذي كان حاكماً بمدينة الجزائر و توفي سنة 763هـ / 1362م، و استغرق بناء هذه المدرسة حوالي السنة و نصف السنة، و أوكل للتدريس بها الشيخ "أبا عبد الله الشريف" (ت 771هـ / 1370م)، و كانت ملحقة بزاوية و مقبرة مخصصة للأسرة الحاكمة من بني زيان[4].

---

[1]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 47.
[2]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 104.
[3]- المصدر نفسه، ص 136.
[4]- التنسي، المصدر السابق، ص 179 – 180، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 182، عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

تقع المدرسة في وسط المدينة[1] و بالتحديد عند باب إيلان[2]، و بالقرب من مسجد إبراهيم المصمودي، وهي تحتل موقعا جغرافيا هاما مثلها مثل المدرسة التاشفينية[3].

و قد انفرد صاحب زهر البستان بوصف شكلها المعماري قائلاً: «.... مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات، و وضعت في أبدع الموضوعات سمكها بالصيغة مرقوم، و بساط أرضها بالزليج مرسوم، غرس بإزائها بستانين يكتنفها، و صنع فيها صهريجا مستطيلا و على طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلاً فيا لها من بنية ما أبهجها.....».[4]

كان "أبو حمو موسى الثاني" يركز على أفضلية إنشاء المدارس لشد معالم العلم، فكرس سلطته لرعاية التعليم من خلال ما أنجزه للمدرسة التي أنشأها، فجعل يوم افتتاحها يوماً عظيماً فاحتفل به كما حضر بنفسه أول درس لتفسير القرآن الكريم[5]، مؤكد بذلك حضور السلطة و احتوائها للتعليم.

– دور المدارس في تأطير الأسرة العلمية بتلمسان:

استناداً للدور العلمي الذي كلّفت المدرسة بتحقيقه في المجال الثقافي بتلمسان خلال قرن من الزمن، نجدها أحرزت نتائج قيمة على مستوى العلمي بالمجتمع الزياني و ظهرت بعض الأسر العلمية التي كان أفرادها إما أساتذة أو طلبة بالمدارس توارثوا الحفاظ على استمرارية الاشتغال بالعلم إنا تحصيلا أو تأليفا، و إن كان على درجات متفاوتة، و غدت هذه الأسر العلمية من أهم الفئات الاجتماعية بتلمسان ارتقت إلى مناصب التدريس، كما دخلت الجانب الوظيفي من بابه الواسع و حظيت باهتمام السلطة.

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص 179.
[2]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 104.
[3]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 48.
[4]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 182، عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.
[5]- التنسي، المصدر السابق، ص 180.

إن دور المدارس لم يكن مقتصرا على التدريس فقط بل كان بعض العلماء يقومون بتفسير القرآن و عندما ينتهون من ذلك تقام احتفالات يشرف عليها السلطان و يستدعي لها الناس، ويقدم لهم الطعام مثل ما هو الحال بالنسبة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف[1].

يمكن القول بأن مدرسة الإمام ساهمت إلى حد كبير في بناء المجتمع ثقافيا من خلال عدد مهم من الطلبة الذين تخرجوا منها، كما لعبت دور أكبر من بين جميع المدارس في تكوين عدد مهم من الطلبة عدوا من كبار العلماء على مستوى تلمسان[2] كان لهم الدور المهم على الصعيد الثقافي و السياسي بتلمسان، فعرف بعض الطلبة حضوراً قوياً في بلاطات السلاطين و ساهموا في البناء السياسي و الإداري في معظم أجهزة الدولة[3].

أما على المستوى الاجتماعي فقد ساهمت المدارس في تكوين و إبراز بعض الأسر العلمية بتلمسان كان لها الدور المهم في استمرارية التعليم الحاضرة كأسرة الشريف التلمساني و أسرة العقباني هذه الأسر التي توارثت التعليم، و استغلت معظم أفرادها في المدارس كمدرسين أو طلبة ساهموا في البنية الاجتماعية بتلمسان.

لقد أحرزت المدارس في الجانب التعليمي عدَّة نتائج أهمها الطرق والأساليب التعليمية الجديدة التي لم يعرفها التعليم بتلمسان إلا عن طريق المدارس، و المتمثلة في طريقة الحوار و المناقشة و التي جاءت عن طريق الفقيهين ابني الإمام و الفقيه أبي موسى عمران المشذالي، إضافة إلى الدور الهام في تطوير العلم و ذلك لاحتوائها على النظام الداخلي و تحديد المنح للطلبة و الرواتب للمدرسين جعل منها مؤسسة تختلف

[1]- مختار حساني، المرجع السابق. ص 284.
[2]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 103.
[3]- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115.

في دورها التعليمي و وظيفتها الاجتماعية عن باقي المراكز العلمية الأخرى، و غدت مدارس تلمسان مراكز علمية تزاول فيها دراسة وفقا لسياسة تعليمية منتظمة و شروط و ضوابط إدارية أخذتها السلطة بعين الاعتبار من أجل تحقيق أهدافها.

4/ المكتبات:

اعتنى ملوك بني زيان بإنشاء مكتبات عامة و تزويدها بالكتب اللازمة لإقامة النشاط التعليمي و العلمي، و من تلك المكتبات:

أ - **المكتبة التي أنشأها السلطان "أبو حمو موسى الثاني"**: عام (760هـ / 1359م) بالجامع الأعظم كانت هذه المكتبة على يمين المحراب و قد هدمت و فقط و فقد ما كان فيها من الكتب حوالي عام 1266هـ / 1850م حين قامت مصلحة الآثار التاريخية الفرنسية بإصلاح و ترميم ما تلاشى أو أهدم من الجامع الأعظم، و لقد كانت تزخر هذه الأخيرة بنفائس المخطوطات و الكتب[1].

ب- **المكتبة التي أنشأها السلطان "أبو زيان محمد الثاني"**: عام (796هـ / 1394م) و كانت هذه المكتبة القسم الأمامي من الجامع الكبير، و كان هذا السلطان مولعا بنسخ الكتب حيث ضمت هذه الأخيرة عدة كتب من نسخه كالقرآن الكريم و صحيح البخاري و كتاب الشفاء للقاضي عيَّاض[2].

[1]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 400.
[2]- التنسي، المصدر السابق، ص 211.

و لقد كانت لهذه المكتبة عدة مخطوطات منها مخطوطان نفيسان أولهما:«كتاب الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان» للحافظ التنسي و ثانيهما: :«كتاب عجائب الأسفار» للحافظ الشيخ "أبي رأس الناصري"[1]

لم يقتصر الأمر على المكاتب العامة، بل وجدت مكتبات خاصة التي كان يملكها العلماء في بيوتهم خاصةً لدى الأسر و بيوتات العلم المشهورة بتلمسان.

كان ملوك بني زيان ينفقون الأموال الجزيلة على المؤسسات التعليمية و طاقمها من المدرسين و الموظفين و طلبتها المحليين و الوافدين، و كانت الأوقاف المحبَّسة على هذه المؤسسات هي المصدر الرئيسي لتلك الأموال، لذلك عنيت الدولة بالأوقاف و جعلت لها ناظرا يشرف عليها و قد يكون من القضاة أو ناظر المدرسة و كانت مداخيلها تسير حسب حاجات المؤسسة التعليمية، و كانت هناك جملة من القواعد و الشروط نظم بموجبها تسيير الوقف عادة ما كان يحددها صاحب الوقف حتى يتسنى للطلبة و العلماء الاستفادة بشكل جيد من المداخيل المحصلة[2].

[1]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 400.
[2]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص40.

خاتمـــــة

آمل في نهاية دراستي هاته، ومن خلال عملي المتواضع هذا أن أكون قد ساهمت ولـــو بالشيء القليل في إحياء التراث الثقافي وإبراز بعض المعالم الحضارية لتلمسان عاصمة الزيـــانيين. كما عملت على إبراز بعض النتائج التي اهتديت إليها من خلال قيامي بدراسة هذا الموضـــوع والتي يمكن إجمالها كما يلي:

1-إنّ من أهم عوامل نمو الفكر والثقافة وازدهارهما بمدينة تلمسان العناية الفائقة والمتزايدة الـــتي كان يوليها سلاطين بني زيان وأمراؤهم لرجال العلم والأدب والثقافة وذلك بما كانوا يجودون به على هذه النخب من منح وجرايات وحظوة واهتمام. عوامل مجتمعة أطلقت ألسنة الشعراء بالمديح والثناء، وأسالت حبر المؤلفين لتسجيل المآثر وتخليد المواقف والتعمق في المسائل العقدية والفقهيـــة على الساحة الإسلامية.

2-كان معظم ملوك الدولة الزيانية من الأدباء والمفكرين شاركوا بطريقة أو بأخرى في تطـــوير البلاد سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وذلك رغم الحروب التي فرضت علـــيهم من الداخل والخارج وبفضل ما أوقفه أهل البّر والإحسان من الأرزاق الجارية، وقع الإقبال علـــى طلب العلم وعليه ازدهرت الثقافة وانتعش الأدب ونشطت الحركة الفكرية، وعمت البلاد نهضـــة علمية في مختلف الميادين وأصبحت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ومركز إشعاع علمي يضاهي مراكز الثقافة في العالم الإسلامي.

3-كان السلاطين يعتنون عناية خاصة بالمؤسسات الدينية والتربوية ويكثـــرون مـــن إنشـــائها وتشييدها، والإنفاق عليها كالمساجد والمدارس والزوايا، والكتاتيب والاهتمام بالمنظومة التربويـــة والتعليم وطلابه. وفضلا عما كان يتميز به أبناء هذه الحاضرة من استعداد فطري للتكيّف والتلقي الذاتي والمساهمة في المد الحضاري وانتشاره وتدعيمه بعناصر جديدة من القوة والحيوية والنشاط.

4-تشجيع الملوك للعلماء والأدباء والمفكرين واهتمامهم بهم وتقديرهم واحترامهم لهم مما أثر فيهم وساعدهم على بلورة الإنتاج الثقافي والحضاري بالمغرب الأوسط في العهد الزياني.

5-لقد ساهم في تلك النهضة الثقافية بقسط وافر مهاجرو الأندلس والمثقفون، فقد كان الـــبلاط الزياني عامرا بالشعراء والأدباء وكانت الندوات الأدبية والعلمية تنعقد في كثير من الأحيان بالقصر الملكي وذلك في إطار فني يعتبر في بعض جوانبه نسخة من الحضارة الإسلامية بالأندلس.

6-تحولت تلمسان إلى مركز علمي جلب إليه الكثير من الطلبة بحثا عن الدراسة وطلبا للعلم مـــن المشرق والمغرب العربيين، وذهاب نخبة كبيرة من علماء المغرب الأوسط إلى بلدان المغرب والمشرق والأندلس، وكانت مساهمتهم في التعليم والبحث لخلق نشاط فكري وثقافي مساهمة فعالة في بناء الحضارة العربية الإسلامية في جميع الميادين.

7-إنّ الكثير من ميادين الحياة في العهد الزياني لا زالت تحتاج إلى دراسة قصـــد التعريـــف بهـــا وإبرازها إلى الوجود وذلك لما تتسم به هذه الفترة من ازدهار ثقافي وحضاري.

هذه العوامل عملت متظافرة على خلق نشاط فكري وثقافي جعلت بلاد المغرب الأوســـط تشارك مشاركة فعالة في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

الملاحق

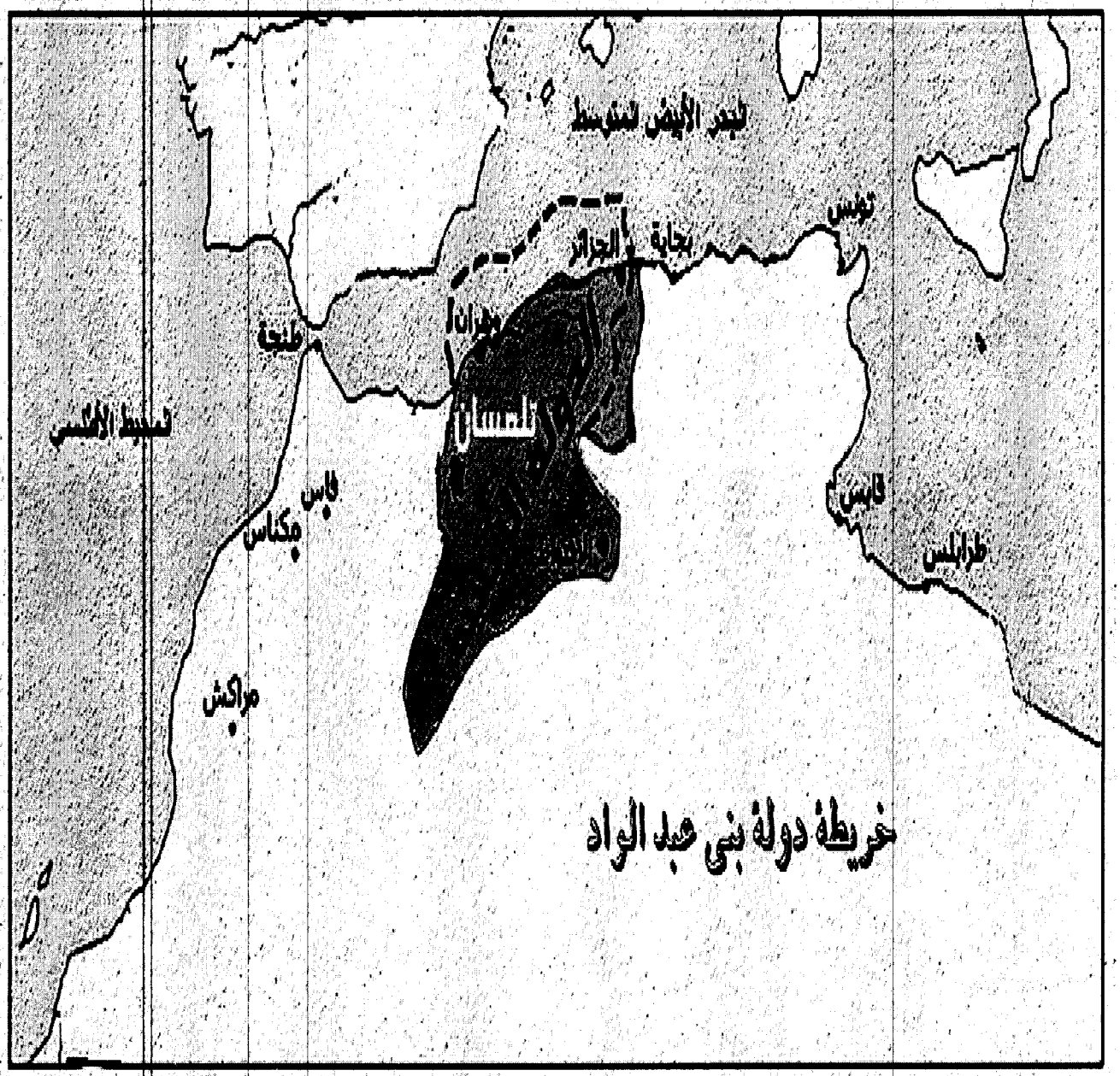

خريطـــــــــة تبين حدود الدولـــــــة الزيانيـــــــــة

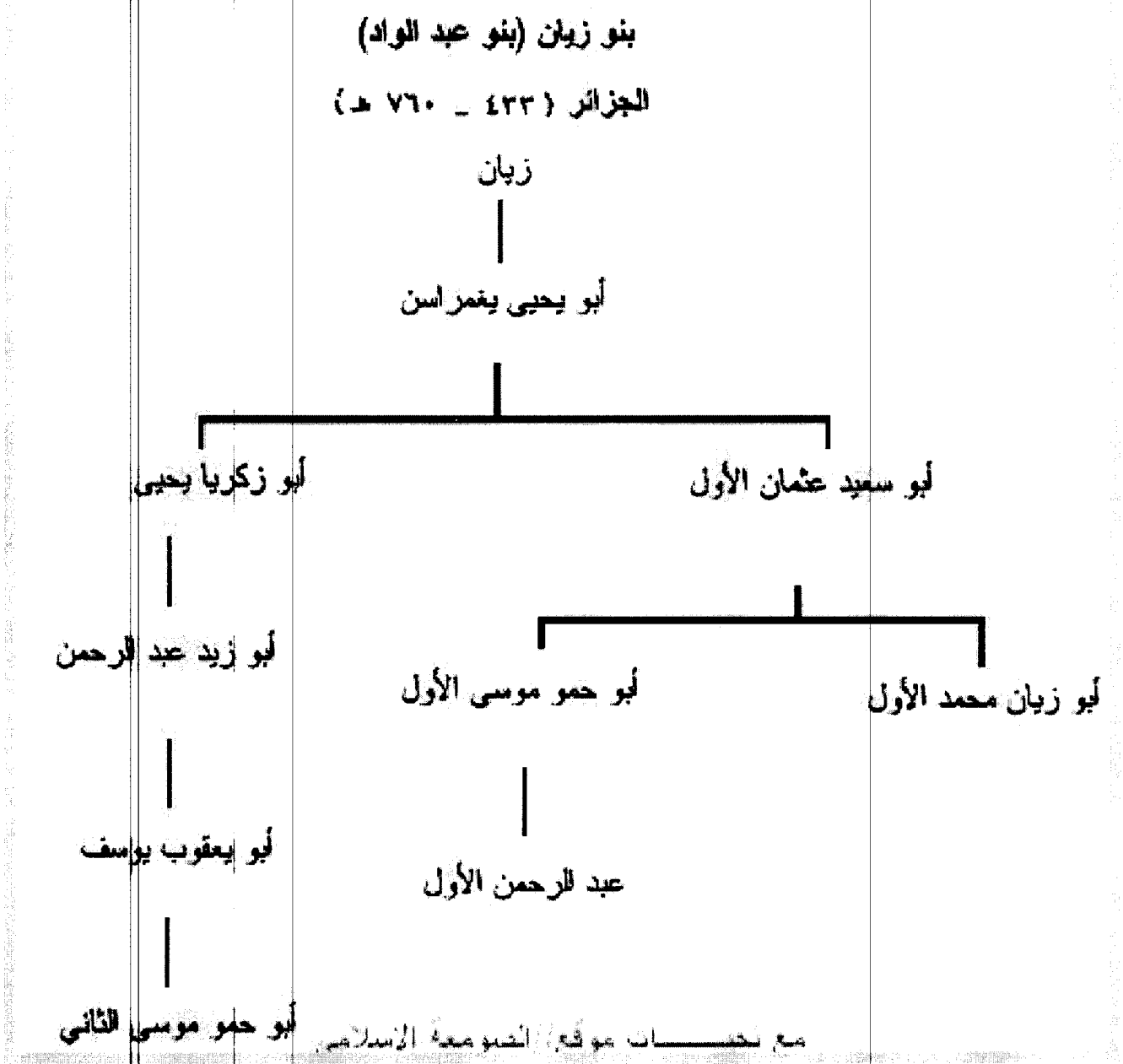

مخـــــــــطط يبين سلاطـــــين بني زيـــــــــــان

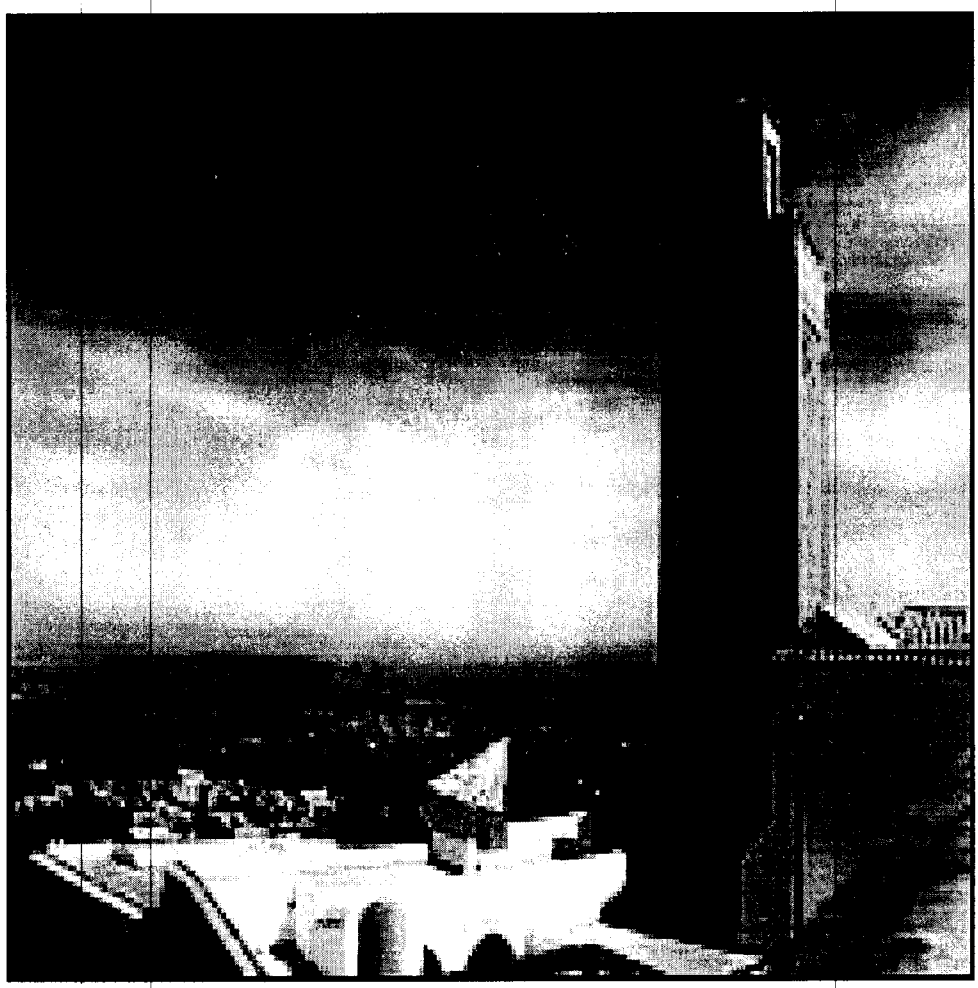

صـــــــور توضــح مسجــد أبي تاشفيـــــــن

شكـــــــــــل يبين مسجد إبراهيم المصمـــــــودي

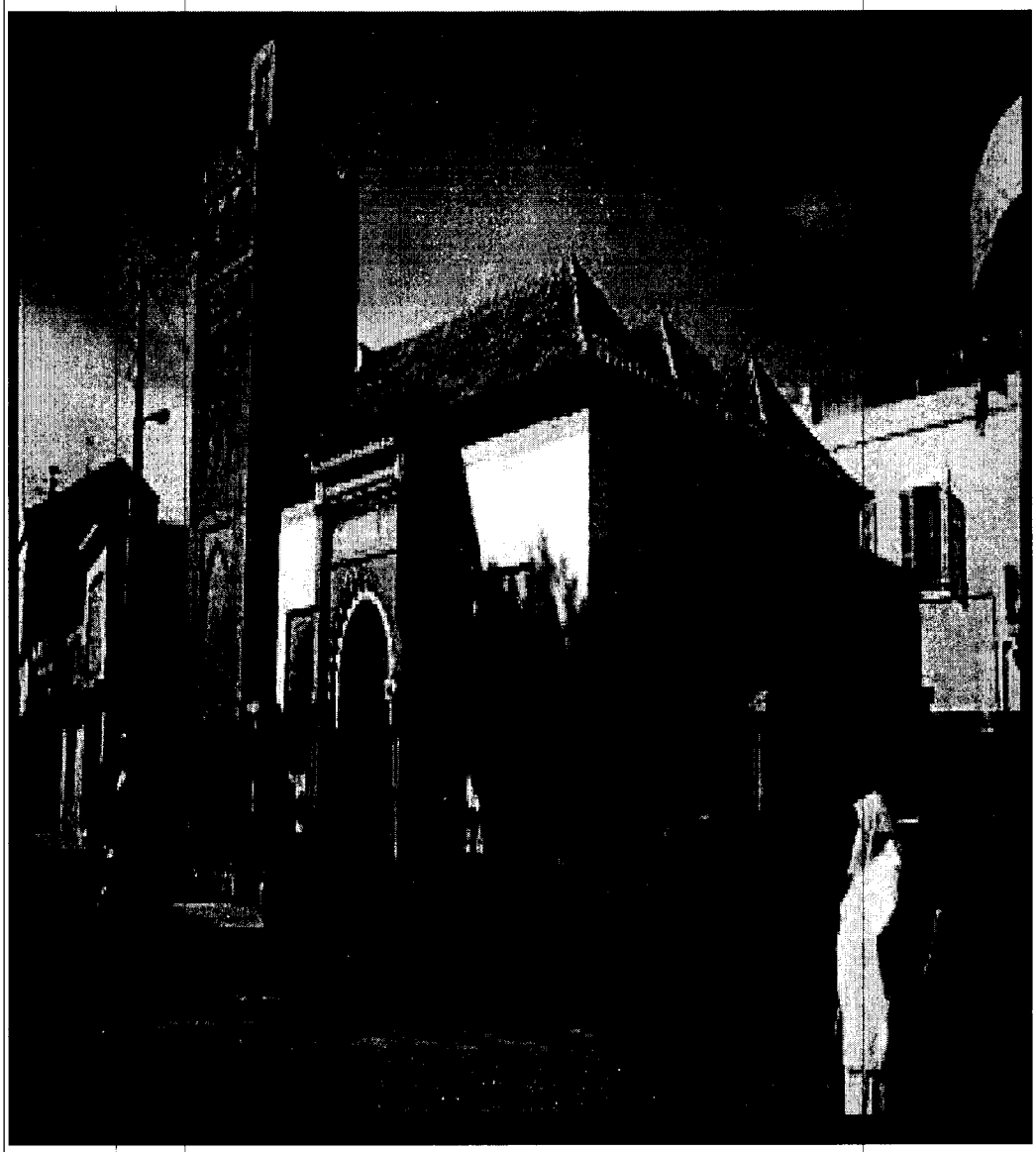

صورة تبين الواجـــــــهة الأمامـــية لمسجـــد أبي الحسن

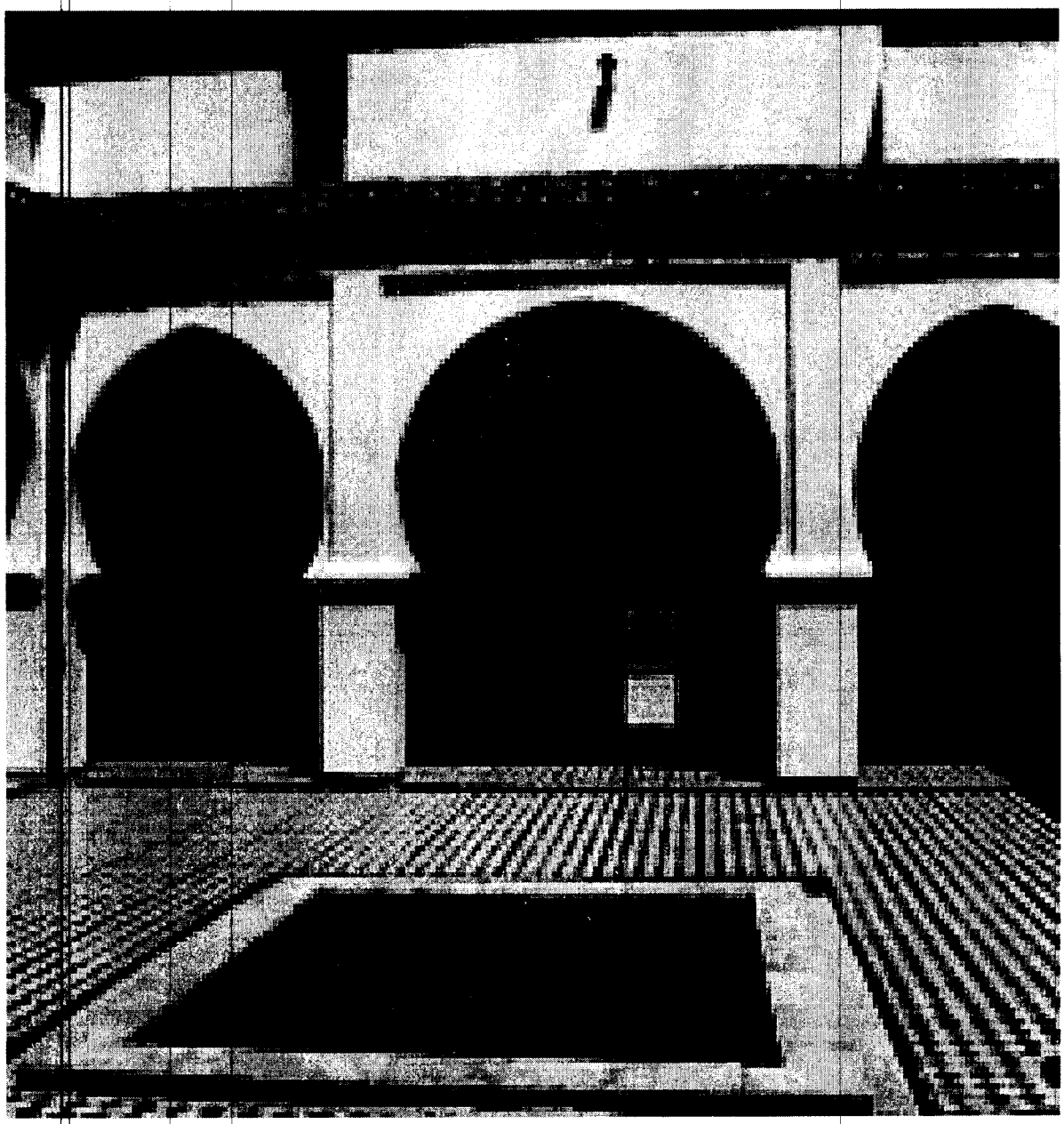

صـــــورة توضـــح صحـــن مدرسة أولاد الإمـــــام

صـــورة توضـــــح الواجهة الأمامـــــية للمسجد الأعظم

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع).

أ – المصادر:

1 – أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

2 – أحمد بن أبي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان في ما مضى يعرض للمعلمين وآداب الصبيان، تحقيق: أحمد بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

3 – أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى وعلماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد: محمد حاجي ومحمد العرايشي وأحمد شرقاوي إقبال، ج8، دار الغرب، بيروت، 1981م.

4 – حسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حاجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

5 – شهاب الدين المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد البقاعي، ج5-6-7-8، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط1، 1998م.

6- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

7- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6-7،دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

8- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن مريم الشريف، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

9- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، ط1، 1901م.

10- محمد ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.1981م.

11- محمد ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.

12- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر، 1986م.

13- يحي بن محمد ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980م.

ب- المراجع:

14 – أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م.

15- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي الحضارة الإسلامية، ج4، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1973م.

16- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1973م.

17- جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004م.

18- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، مطبعة تلمسان، تلمسان، ط1، 2005م.

19- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

20- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م.

21- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980م.

22- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1953م.

23- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1-2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

24- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1997م.

25- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

26- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

27- محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

28- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007م.

29- يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط2، 2004م.

30- يعي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط4، 1996م.

ج – الرسائل الجامعية:

31 – فاطمة الزهراء عمارة، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين- الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2009م.

32- لخضر العبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633هـ - 962هـ/ 1236م-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان. 2005/2004م.

33- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2006/2005م.

34- محمد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية، شهادة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2002/2001م.

35- عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008/2007م.

د – الدوريـــــات:

36- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975م.

الفهـــرس

فهـــرس المحتويـــــات

أ – مقدمة.....ص أ إلى ص ج

ب – مدخل.....ص 1 إلى ص 11

ج – الفصل الأول (عوامل ازدهار الفكر والثقافة بتلمسان)

1- الموقع الجغرافي.....ص 14 إلى ص 16

2– العنصر البشري.....ص 16 إلى ص17

3– الهجرة الهلالية.....ص 17 إلى ص 18

4 - تقرب أمراء الدولة من رجال الفكر.....ص18 إلى ص22

5 – الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط.....ص23 إلى ص24

6 – الرحلات العلمية.....ص24 إلى ص28

7- الوراقة.....ص28 إلى ص29

8 – أحداث التقليد والمنافسة المغربية.....ص29 إلى ص30

9 – النهضة العمرانية.....ص30 إلى ص33

د – الفصل الثاني (التعليم ومؤسساته).

-التعليم

10 – المناهج.....ص36 إلى ص37

11 – مراحل التعليم.....ص38 إلى ص40

12 – طرق التعليم وأساليبه.....ص40 إلى ص43

13 – الإجازة العلمية.....ص43 إلى ص44

-المؤسسات التعليمية والثقافية

14 – المساجد.....ص44 إلى ص47

15 – الكتاتيب.....ص48 إلى ص49

16 – المدارس.....ص50 إلى ص57

17 – المكتبات.....ص58 إلى ص59

هـ - خاتمة.....ص 61 إلى ص63

و – الملاحق.....ص65 إلى ص71

لا – قائمة المصادر والمراجع.....ص73 إلى ص 76

ي – فهرس الموضوعات..... ص78 إلى ص79